بناء الدولة ومؤسساتها في العهد النبوي

عامر فتحي محمود العساف

Building of the state and it`s institutions in the prophet`s age (period)

A`amir Fathi Mahmood Al- A`assaf

The research talks about the stage of building the state and it`s institutions through the prophet`s procedure in the document and making brotherhood in Medina to let people return to save the institutions and made them apply the legislation.

La construction de l'Etat et ses institutions dans l'époque prophétique

M. ajoint: Amer Fathi Mahmoud Al-Assaf...

La recherche aborde le stade de la construction de l'Etat et de ses institutions en suivant l'approche du prophète -PSL- dans le document prophétique et la consolation entre Al Anssar et Al Muhajireen dans la ville, pour restaurer les gens à la discipline et pour sauver les institutions et amener les gens à obéir et appliquer la charia'a…

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للناس أجمعين خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

ان بناء الدولة ومؤسساتها في العهد النبوي –العهد المدني– له اهمية كبيرة في سيرة نبينا محمد –ﷺ–، وقد تباينت معطيات الدولة الاسلامية عن غيرها من الدول من حيث القواعد والأسس التي بنيت عليها ومن حيث المقومات التي اعتمدتها في سلمها الهرمي، فرسول الله –ﷺ– لم يرث عرشاً ولم يغتصب حكماً، ولكنه اوجد دولة ذات ابعاد مؤسساتية وقيم انسانية غيرت مجرى التاريخ، وتركت بصمات حول احداث العالم كان لها الأثر حتى عصرنا الحاضر؛ بل يمكن أن تبقى آثارها لتأخذ عمقاً زمنياً بعيداً' وقد بنيت أركان هذه الدولة طبقاً لبنود الفقه الدستوري والاداري، فوجود الشعب، والاستقلال السياسي، ووجود إقليم – البقعة الجغرافية – تعيش عليه الجماعة بصفة مستمرة، والسلطان أو السيادة التي يخضع لها جميع الأفراد، كانت عاملاً اساسياً وقوياً في اقامت الدولة، ولهذه السيادة وجهان: وجه داخلي بحيث يكون للقائمين على السلطان حق إصدار الأوامر لجميع أفراد الجماعة، ووجه خارجي بحيث يكون للقائمين على السلطان حق تمثيل الجماعة أو الأمة والتصرف باسمها، وكان هذا السلطان يتركز في شخص الرسول –ﷺ– الذي يمثل الجماعة الإسلامية في الخارج، فيعقد مع الجماعات الأخرى المعاهدات والصلح ويعلن الحرب كما حدث في عهده لليهود، وفي معاهدة الحديبية، وفي غزوة بدر وغيرها من الغزوات، وكذلك كان هذا السلطان يتركز في شخص الرسول–ﷺ– الذي كان له حق إصدار الأوامر لجميع أفراد الأمة الإسلامية وكان عليهم واجب السمع والطاعة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[1].

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

وتأتي أهمية الموضوع عندما نرى بعض الذين ينتسبون الى هذ الدين وأحيانا نسمع عن البعض كيف يختط لنفسه منهجاً سياسياً يقوم على الاستعباد والاستبعاد، فكم عجت الساحة السياسية بمشاكل تضر السياسة الشرعية في بناء الدولة أكثر مما تفيدها، بسبب غياب الأسلوب السياسي الحكيم في بناء الدولة وتقدمها، بل الأعجب والأغرب في ذلك أن ترى تلك الأساليب الخاطئة حتى في بعض الذين ينتسبون الى جهات وتيارات اسلامية، وكم من مريد للخير لن يصيبه، فلك أن تتصور حجم المأساة والضرر الذي نلحقه بديننا ودولتنا ومؤسساتها جراء سلوكيات لا تنضبط باطار مقاصد وغايات الشريعة السمحة.

وسيكون منهج الدراسة في هذا البحث قائماً على المنهج الاستقرائي والتحليلي، وذلك بتتبع النصوص المتعلقة بالموضوع، حيث انني قد جمعت اكبر عدد ممكن من المراجع والمصادر والكتب والمصنفات والمؤلفات، وكذلك استعنت ببعض المؤلفين والرسائل التي كتبت على هذا الموضوع، ورجعت الى امهات الكتب الفقهية للمذاهب الاسلامية المشهورة، ولم استغني عن الكتب الحديثة المعتمدة في توثيق الاحاديث، وبينت معاني الكلمات الغريبة الواردة في صفحات البحث جهد المستطاع.

وقد اقتضى طبيعة البحث أن تقوم الدراسة فيه على مقدمة، ومبحثان، وخاتمة:

المبحث الاول: اعداد الوثيقة وبيان صلاحيات رئيس الدولة.

المبحث الثاني: اعداد مؤسسات الدولة.

ثم جاءت الخاتمة بمجموعة من النتائج التي توصلت اليها من خلال هذا البحث، واسال الله العظيم ان يوفقنا واياكم لخدمة الاسلام، وان يزكي انفسنا، وان يجعل اقوالنا واعمالنا خالصة لوجهه الكريم، انه نعم المولى ونعم النصير، والله ولي التوفيق.

الباحث

المبحث الاول

اعداد الوثيقة وبيان صلاحيات رئيس الدولة

شكلت وثيقة المدينة التي كتبها رسول الله -ﷺ- عند هجرته اليها بمثابة دستوراً جديداً للدولة التي أقامها في ذلك العصر، وقد جاءت موافقة لمتطلبات عصرها، وأخذت بنظر الاعتبار التركيبة الاجتماعية للوضع الداخلي للمدينة المنورة والابعاد السياسية لواقع القبائل المحيطة بها، فضلاً عن احتوائها لأحكام دستورية تعالج قضايا دستورية خصت صلاحيات رئيس الدولة[١]، وهذا ما سأبحثه في المطالب الآتية:

المطلب الاول: اصدار الدستور او الوثيقة.

المطلب الثاني: صلاحيات رئيس الدولة.

المطلب الثالث: بناء المسجد ودوره السياسي.

المطلب الرابع: المؤاخاة وحل المشكلة الاقتصادية للمهاجرين.

المطلب الاول

اصدار الدستور او الوثيقة

دخل رسول الله -ﷺ- المدينة وهي ذات طوائف قبلية ودينية شائكة، والدولة الاسلامية كان واجبا عليها ان تعلن موقفها الصريح من هذه الطوائف، فأصدر النبي -ﷺ- دستوراً يعتبر بحق الاسوة والقدوة في كل الدساتير بحيث يتعلم كل من يكتب دستوراً كيف يقود شعبا متعدد العقائد والمشارب والمنازع[٢]، وسأذكر نص

(١) ينظر: قيادة الرسول السياسية والعسكرية، احمد راتب عرموش، دار النفائس، ط١ (بيروت/ ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م) ١٨٤-١٨٦.

(٢) ينظر: التحالف السياسي في الإسلام، منير محمد الغضبان، مكتبة المنار، ط١ (الأردن/ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ٨٣.

الوثيقة مع ملاحظة أنه تم نقلها كما وردت في كتب السيرة[١]، مع تفصيلها على شكل مواد قانونية ودستورية حتى تتبين قيادة النبي -ﷺ- الفذة، وكالآتي:

أولاً: نص الوثيقة

(بسم الله الرحمن الرحيم:

١ - هذا كتاب من محمد النبي -ﷺ-، بين المؤمنين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.

٢ - إنهم أمة واحدة من دون الناس.

٣ - المهاجرون من قريش على ربعتهم[٢] يتعاقلون[٣] بينهم وهم يفدون

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد جمال الدين (ت: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ط٢ (مصر/١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) ٥٠١/١-٥٠٤.

(٢) الربع: الطريقة، وقولهم على رباعتك، أي طريقتك، أو استقامتك. وفي كتابه -ﷺ- للمهاجرين والأنصار: (إنهم أمة واحدة على رباعتهم)، أي على استقامتهم، يريد أنهم على أمرهم الذي كانوا عليه، رباعتك: قبيلتك أو فخذك، أو يقال: هم على رباعتهم، بالفتح، ويكسر، ورباعهم، وربعاتهم، محركة، وربعاتهم، ككتف، وربعتهم، كعنبة، أي حالة حسنة من استقامتهم، أو أمرهم الذي كانوا عليه أولا، وربعاتهم، محركة، وتكسر الباء أي منازلهم؛ ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت:٧١١هـ) دار صادر، ط٣ (بيروت/١٤١٤هـ) ١٠٨/٨.

(٣) يتعاقلون:من العقل: ضد الجهل عقل يعقل عقلا، وعقلت القتيل، إذا أعطيته ديته، أعقله عقلا، وعقلت عن فلان، إذا أعطيت عنه دية قتيل أو أرش جناية، وعاقلة الرجل: بنو عمه الأدنون، وبنو فلان على معاقلهم في الجاهلية، إذا كانوا على مراتب آبائهم، وصار دم فلان معقلة على قومه، إذا تعاقلوه بينهم فلا يعقل حاضر على باد يعني أن القتيل إذا كان في البادية فإن أهلها يتعاقلون بينهم الدية ولا يلزمون أهل الحضر من أنسابهم؛ ينظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت:٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١ (بيروت/١٩٨٧م) ٩٣٩/٢.

عانيهم[١] بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٤ – وبنو عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالقسط والمعروف بين المؤمنين.

٦ – وبنو الحارث على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالقسط والمعروف بين المؤمنين.

٧ – وبنو جشم على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٨ – وبنو النجار على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٩ – وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١٠ – وبنو النبيت على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١١ – وبنو الأوس على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١٢ – وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا[٢] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

---

(١) العاني: اي الاسير، ويفكون العاني ويفدونه، ومنه حديث النبي –ﷺ–: (عودوا المريض وأطعموا الجائع وفكوا العاني) يعني الأَسير؛ ينظر: غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت:٢٢٤ه) تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط١ (حيدر آباد/ الدكن/١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) ١٨٦/٢.

(٢) المفرح: المحتاج الفقير، والذى لا يعرف له نسب ولا ولاء، والقتيل يوجد بين القريتين. أي لا يترك في أخلاف المسلمين حتى يوسع عليه ويحسن إليه، قال أبو عبيد: المفرح الذي قد أفرحه الدين والغرم أي أثقله ولا يجد قضاءه، وقيل: أثقل الدين ظهره؛ ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤ (بيروت/١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ٣٩٠/١ ؛ ولسان العرب، ٥٤١/٢.

١٣ – وإن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.

١٤ – وإن المؤمنين المتقين على من بغي منهم أو ابتغى دسيعة[١] ظلم، أو إثم أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم.

١٥ – ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ولا ينصر كافراً على مؤمن.

١٦ – وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض، دون الناس.

١٧ – وإنه من تبعنا من يهود، فإن له النصرة والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

١٨ – وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم.

١٩ – وإن كل غازية غزت معنا، يعقب بعضها بعضا[٢].

٢٠ – وإن المؤمنين يبيء[٣] بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.

٢١ – وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه.

٢٢ – وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن.

---

(١) دسع: الدسع: خروج جرة البعير، ودسعها هو، والدسيع: مركب العنق في الكاهل، والدسيعة: كرم فعل الرجل في أموره، وهو ضخم الدسيعة، أي: الطبيعة، ويقال: هي الجفنة أو المائدة، فأما قول رسول الله –ﷺ– في كتابه بين قريش والأنصار: (وإن المؤمنين على من بغى عليهم، أو ابتغي دسيعة ظلم)، فإنه أراد الدفع أيضا، يقول ابتغى دفعا بظلم ؛ ينظر: مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت:٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط٢ (بيروت/ ١٤٠٦ه/١٩٨٦م) ٣٢٦/١.

(٢) أي يتناوبون فإذا خرجت طائفة غازية ثم عادت تكلف أن تعود ثانية حتى تعقبها أخرى غيرها؛ ينظر: الإسلام والدستور، توفيق بن عبد العزيز السديري، وكالة المطبوعات والبحث العلمي وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١ (١٤٢٥هـ) ١١٥.

(٣) بوأ: البواء: السواء يقال: دم فلان بواء لدم فلان. وأبأت فلانا فلان أبئه إباءة، إذا قتلته به ؛ ينظر: مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت:٣٩٥هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط٢ (بيروت/ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ١٣٨/١.

٢٣ – وإنه من اعتبط[١] مؤمنا قتلا عن بينة، فإنه قود به: اي أن ينقاد القاتل فيقتل بالذي قتله، إلا أن يرضى ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

٢٤– وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا، أو يؤويه، وأن من نصره فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه عدل ولا صرف.

٢٥– وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله –ﷻ– والى محمد–ﷺ–.

٢٦ – وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٢٧ – وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ[٢] إلا نفسه وأهل بيته.

٢٨ – وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.

٢٩ – وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.

٣٠ – وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

٣١ – وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف.

٣٢ – وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.

---

(١) الاعتباط: النحر بغير علة فاستعاره للقتل بغير جناية، ويقال اعتبط البهيمة: إذا ذبحها من غير علة، قال تأبط شرا: (ومن لا يعتبط يسأم ويهرم... وتسلمه المنون إلى انقطاع) وفي حديث النبي –ﷺ–: (ومن اعتبط مؤمنا قتلا فإنه به قودا إلا أن يرضى ولي المقتول بالعقل)؛ ينظر: الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت:٥٣٨ه)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، ط٢ (لبنان) ٢٦/٢.

(٢) الوتغ: الوجع: ويقال: لأوتغنك أي: لأوجعنك، ووتغ يوتغ: هلك ولا يوتغ: أي لا يهلك إلا نفسه؛ ينظر: الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت:٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، ط٢ (لبنان) ٢٦/٢.

٣٣ – وإن ليهود بني ثغلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

٣٤ – وإن جفنة بطن من ثعلبه كأنفسهم.

٣٥ – وإن لبني الشطبية مثل ما ليهود بني عوف.

٣٦ – وإن البر دون الإثم.

٣٧ – وإن موالي ثعلبة كأنفسهم.

٣٨ – وإن بطانة يهود كأنفسهم.

٣٩ – وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد –ﷺ–.

٤٠ – وإنه لا ينحجز[١] على ثار جرح.

٤١ – وإنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته، إلا من ظلم.

٤٢ – وإن الله على أبر هذا[٢].

٤٣ – وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

٤٤ – وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

٤٥ – وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

٤٦ – وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم.

٤٧ – وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

٤٨ – وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

٤٩ – وإنه لا تجار[٣] حرمة إلا بإذن أهلها.

---

(١) انحجز: اي امتنع ويقال انحجز عنه تركه، وحجزه يحجزه حجزا: منعه، ومعنى ذلك ان لا يمنع من ثأر ؛ ينظر: لسان العرب، ٣٣١/٥ ؛ والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر و محمد النجار، دار الدعوة، ١٥٨/١.

(٢) على أبر هذا: أي علي الرضا به ؛ ينظر: الإسلام والدستور، ١١٧.

(٣) تجار: من الجوار: مصدره المجاورة، والجوار: الاسم، يقال أجرت فلانا على فلان: إذا حميته منه ومنعته أن يتعرض له، ومعنى هذا البند أي لا تعطى ذمة ولا عهد، والمراد بالحرمة هنا الجوار، فلا يجير الجار مستجيرا إلا بإذن مجيره؛ ينظر: العين، أبو=

٥٠ – وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله –ﷻ–، وإلى محمد رسول الله –ﷺ–.

٥١ – وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.

٥٢ – وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

٥٣ – وإن بينهم النصر على من دهم يثرب وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحونه ويلبسونه.

٥٤ – وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين –إلا من حارب في الدين– على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

٥٥ – وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة.

٥٦ – وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه.

٥٧ – وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

٥٨ – وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم.

٥٩ – وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله –ﷺ–)[1]،انتهى نص الوثيقة.

ثانياً: المواد الدستورية التي احتوتها الوثيقة

يمكننا استنباط أهم ما حوته وثيقة المدينة من أحكام دستورية بما يأتي:

١– الإعلان عن قيام الدولة الإسلامية، وأن شعبها يتكون من: مهاجري مكة وأنصار المدينة، مضافا إليهم كل من أبدى استعدادا للتبعية لهذه الوحدة،

=عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت:١٧٠هـ) تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ١٧٦/٦.

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٥٠١/١–٥٠٤ ؛ والبداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤ه) تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١ (١٤٠٨ه/١٩٨٨م) ٥٥٦/٤–٥٥٨.

وخضع لقيادة دولتها من الأقليات الأخرى القاطنة المدينة كما في الفقرة (١)، والفقرة (٢).

٢- نصت الوثيقة على مبدأ الانضمام إلى المعاهدة بعد توقيعها، وهو مبدأ دستوري مهم، ومازال العمل يجري به إلى يومنا هذا، ولعلها أول وثيقة في التاريخ تقر هذا المبدأ[١] كما في الفقرة (١) والفقرة (١٧).

٣- نصت الوثيقة على مواد في التكافل الاجتماعي بين أفراد الدولة، كما في الفقرات من (٣) إلى (١٣).

٤- نصت الوثيقة على إقامة العدل، وتنظيم القضاء، ونقله من الأفراد والعشيرة إلى الدولة دون محاباة، ودون السماح لأحد بالتدخل وتعطيل القانون، كما في الفقرة (١٤).

٥- قررت الوثيقة مبدأ شخصية العقاب كما في الفقرة (٤٦) والفقرة (٥٦).

٦- أوردت الوثيقة نصوصا في بيان مركز الأقليات الدينية، كما في الفقرات (٧١)، (٢٦)، (٢٧)، (٤٣)، (٤٤)، (٥٣).

٧- أوردت الوثيقة نصوصا في بيان الحقوق، كحق الحياة، كما في الفقرة (٢٣)، وحق الملكية، كما في الفقرة (٥٨) وحق الأمن والمسكن، والتنقل، كما في الفقرتين (٤٧)، (٥٨).

٨- أوردت الوثيقة نصوصا في بيان الحريات والحقوق كحق احترام عقيدة الآخرين، وعدم الإكراه في الدين، كما في الفقرة (٢٧)، وبالتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في الفقرة (٤٥).

٩- حددت الوثيقة أساس المواطنة في الدولة الناشئة، وهو الإسلام، فأحلت الرابطة الدينية بدلا من الرابطة القبلية، حيث نصت الفقرة (٢)، من الوثيقة على أن المسلمين أمة من دون الناس، وليس معنى ذلك حصر المواطنة في المسلمين

(١) ينظر: في النظام السياسي للدولة الإسلامية، محمد سليم العوا، المكتب المصري، ط٥ (القاهرة/ ١٩٨١م) ٥٦-٥٧.

وحدهم، بل نصت الوثيقة على اعتبار اليهود المقيمين في المدينة من مواطني الدولة، وأوضحت حقوقه وواجباتهم[١]، كما في الفقرات من (٢٧) إلى (٤١).

١٠- عينت الوثيقة أن المرجع عند الاختلاف رئيس الدولة، كمما في الفقرة (٢٥)، والفقرة (٣٩) والفقرة (٥٠) بمعنى أن الوثيقة حددت سلطة تفسير النصوص.

١١- قررت الوثيقة مبدأ المساواة كما في الفقرات (١٦)، (١٨)، (٢٠)، (٥٣)، (٥٤)، فالناس سواء في الحقوق والواجبات.

١٢- نصت الوثيقة على عدم جواز إبرام الصلح المنفرد مع أعداء الأمة، كما في الفقرة رقم (١٨).

١٣- نصت الوثيقة على مبادئ غير سياسية أو غير دستورية أصلا، وذلك لإعطائها أهمية ومكانة، ولإلزام أطراف هذه الوثيقة بالنزول على حكمها، وذلك لإعطائها سمو ومكانة ليست لأحكام القانون العادي، ولمنحها شيئا من الثبات، وذلك لأهميتها حين وضع الوثيقة، كما في الفقرات (٢٣)، (٢٤)، (٢٦)، (٤٦) فهذا أمر متعارف عليه حاليا في الدساتير الحديثة.

١٤ - أبقت الوثيقة على بعض الأعراف القديمة، التي كان العرب متعارفين عليها قبل الإسلام كما في الفقرات (٣) وما بعدها فنشؤ الدولة الإسلامية لم يؤد إلى الإلغاء لوظائف القبيلة الاجتماعية، ذلك أنها لم تكن شرا كلها[٢].

والحقيقة أن هذه الوثيقة جاءت واضحة في نصوصها على غير مثال سبقها، وشملت نصوصها أغلب ما احتاجته الدولة الناشئة في تنظيم شؤونها السياسية، وتتضح دقة صياغة هذه الوثيقة، من خلال النظر في نصوص المعاهدات الدولية، والدساتير في العصر الحديث، وما تثيره نصوصها من خلاف في المعنى والتطبيق، وما فيها من تفسيرات متعددة ومتناقضة، كما هو الحال في الدستور العراقي الحالي الذي فيه من التناقضات في تفسير بنوده ما الله به عليم[٣].

---

(١) ينظر: في النظام السياسي للدولة الإسلامية، ٥٦-٥٧.

(٢) ينظر: الدولة القانونية والنظام السياسي الإسلامي، منير حميد البياتي، جامعة بغداد، ط١ (بغداد/ ١٣٩٩هـ) ٧٢-٧٣.

(٣) ينظر: في النظام السياسي للدولة الإسلامية، ٥٨-٥٩.

المطلب الثاني

صلاحيات رئيس الدولة

من المصطلحات المحدثة (رئيس الدولة) حيث لم يكن معهوداً في الفترات السابقة أو العصور الاسلامية الأولى، ألا انه يمكن ان يكون من القضايا الدستورية الشكلية كونه رمزاً يعكس الفكرة التي يقوم عليها نظام الحكم(١)، ولقد جمع النبي -ﷺ- بين تكريمه بالنبوة والرسالة وبين قيامه برئاسة الدولة فهو يمثل السلطان الروحي باعتباره نبياً، ويمثل السلطان المادي باعتباره رئيسا، وكانت مهمته النبوية أن يبلغ للناس ما يوحى إليه من ربه ويبينه لهم كما علمه الله، أما مهمته باعتباره رئيسا فهي إقامته الدين والحكم بما أنزل الله وتوجيه أمور الأفراد والجماعة والقيام على شؤونهم جميعا في حدود ما أنزل الله، وبعد وفاة الرسول -ﷺ- انقطع الوحي وتحدد الإسلام فلا زيادة ولا نقص ولا تبديل ولا تعديل، وأصبح السلطان الروحي ممثلا فيما جاء به الرسول-ﷺ- وهو الإسلام، كما أصبح الإسلام محددا بالقرآن والسنة، وكل من يخلف الرسول-ﷺ- على رئاسة الدولة ليس له من سلطان إلا السلطان المادي الذي كان يباشره الرسول-ﷺ- باعتباره رئيسا للدولة، أما السلطان الروحي فهو للقرآن والسنة أي لما جاء به الرسول-ﷺ-، على أنه لما كان السلطان المادي في الإسلام يقوم على السلطان الروحي ويندمج فيه فإن رئيس الدولة الإسلامية حين يباشر وظيفته إنما يباشر سلطانا ماديا وسلطانا روحيا اندمج كلاهما في الآخر وامتزج به(٢).

ولقد كان لرسول الله -ﷺ- دوراً في السلطات الثلاث، التشريعية- القضائية- التنفيذية، وكالآتي:

---

(١) ينظر: الإسلام والدستور، ١٥٢.

(٢) ينظر: الإسلام وأوضاعنا السياسية، عبد القادر عودة (ت: ١٣٧٣هـ) مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت/١٤٠١هـ/١٩٨١م) ١٢٠.

١- في مجال السلطة التشريعية: كان -ﷺ- هو المرجع للتشريع، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[١]، بل ان دور رئيس الدولة في السلطة التشريعية مهم حتى في غير شخص النبي -ﷺ-، لأن الأصل في الشريعة الإسلامية أنها جاءت للناس لتحكمهم في كل حالاتهم، وليحكموها في شؤون دنياهم وآخرتهم، ولكن الشريعة مع هذا لم تأت بنصوص تفصيلية تبين حكم كل الحالات الجزئية والفرعية، وإنما اكتفت الشريعة في أغلب الأحوال، بإيراد الأحكام الكلية والمبادئ العامة، فإذا تعرضت لحكم فرعي فنصت عليه فإنما تنص عليه لأنه يعتبر حكما كليا أو مبدءاً عاما بالنسبة لما يدخل تحته من فروع أخرى، والأحكام الكلية والمبادئ العامة التي نصت عليها الشريعة تعتبر بحق القواعد العامة للتشريع الإسلامي، والهيكل الذي يمثل معالم التشريع الإسلامي، والضوابط التي تحكم التشريع الإسلامي، وقد تركت الشريعة لأولي الأمر والرأي في الأمة أن يتموا بناء التشريع على هذه القواعد، وأن يستكملوا هذا الهيكل فيبينوا دقائقه وتفاصيله في حدود المبادئ والضوابط التي جاءت بها الشريعة، والطريقة التي التزمتها الشريعة في التشريع هي الطريقة الوحيدة التي تتلاءم مع شريعة كتب لها الدوام وجعل من صفاتها السمو والكمال، فصفة الاستمرارية والدوام تقتضي أن لا ينص على حالات مؤقتة تتغير أحكامها بتغير الظروف وتوالي الأيام، والسمو والكمال يقتضيان النص على المبادئ والنظريات الإنسانية والاجتماعية التي تكفل حياة سعيدة للجماعة، وتحقق العدل والمساواة والبر والتراحم بين أفرادها[٢].

٢- في مجال السلطة القضائية: (لقد حددت الوثيقة التي اصدرها الرسول-ﷺ- السلطة القضائية في شخص الرسول-ﷺ-، فالنبي-ﷺ- هو الذي يحكم في الخلافات التي تهدد الأمن وتسبب الاضطراب فقد نصت الوثيقة: (وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله -ﷻ-، وإلى

(١) سورة النجم: الآية ٣.

(٢) ينظر: الإسلام وأوضاعنا السياسية، ٢٣٢-٢٣٣.

محمد رسول الله -ﷺ-)[١]، فقد اوجد في هذه المادة سلطة قضائية مركزية يرجع اليها الجميع، وهي مسألة ضرورية لها تأثير في خلق الاستقرار والنظام وان هذه السلطة من الله، فهي مصطبغة بصبغة قدسية كما ان لها قوة تنفيذية لأن أوامر الله -ﷻ- واجبة الطاعة ولازمة التنفيذ، كما ان اوامر الرسول -ﷺ- من الله وطاعتها واجبة، فان اطاعة اوامر الرسول -ﷺ- هي اطاعة لأوامر الله، وقد نص القرآن الكريم على ذلك في قوله تعالى: ﴿ **مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا** ﴾[٢]، ولم تقتصر السلطة القضائية على المسلمين فحسب بل شملت المشركين من قريش واهل يثرب فقد جاء في الوثيقة:(هذا كتاب من محمد النبي-ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم)[٣]، والراجح انه كان يقصد بهذا الافراد والعشائر التي لم تعتنق الدين الاسلامي من اهل المدينة، وبذلك أدخلهم ضمن الأحكام الأساسية ولم يجبرهم على اعتناق الاسلام، ولعل الرسول -ﷺ- اخذهم بالحسنى ولم يعمل على اقصائهم والتشديد عليهم وأبقاهم ضمن قبائلهم دون اجبارهم على الانضمام الى الاسلام تحاشيا من تفكيك العشائر والقبائل وتعريض هؤلاء الذين لم ينضموا الى الاسلام الى الاخطار الكبيرة فيما اذا انفصلوا عن عشائرهم وتجردوا من حمايتها، ولا بد ان هؤلاء الذين لم يعتنقوا الاسلام ادركوا انه لابد لهم من الرضوخ لتحكيم الرسول-ﷺ-، خاصة بعد ان اسلمت معظم عشائرهم ورؤسائهم، فاضطروا ان يبقوا مع عشائرهم، ولابد ان هذا البقاء سيؤثر عليهم على مر الايام ويجعلهم يتفهموا

(١) البداية والنهاية، ٥٥٨/٤ ؛ والمصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، محمد أو عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنصاري أبو عبد الله جمال الدين ابن حديدة (ت:٧٨٣ه) تحقيق: محمد عظيم الدين، عالم الكتب (بيروت) ٩/٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٠.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، ٥٠١/١.

الاسلام ثم ينضموا اليه[١].

٣- في مجال السلطة التنفيذية: فقد كان رسول الله أيضاً على قمة السلطة التنفيذية، فهو -بجانب كونه رسولًا- رئيس الدولة، والقائد الأعلى للقوات المسلحة، وان الأنظمة الحديثة درجت على فصل السلطات الثلاث حتى لا تطغى سلطة على سلطة، فقد يشرع أصحاب السلطة التنفيذية القوانين على هواهم، كما هو حادث الآن في الدول المتخلفة، أو يخترع القضاة قوانين تتفق وأغراضهم، لكن هذا المعنى لا يوجد بالنسبة لرسول الله -ﷺ-، فهو معصوم من أن يحكم بالهوى، فلا خوف من أن يجمع -ﷺ- بين السلطات الثلاث، لعصمة الله -ﷻ- لرسوله)[٢].

فنلاحظ أن الوثيقة تؤكد أن رسول الله -ﷺ- هو رئيس الدولة، وهو المرجع في التفسير والحكم والتنفيذ، وهو -ﷺ- المسؤول عن تحقيق أمن المدينة وسلامة المقيمين فيها، وهو -ﷺ- المصدر الوحيد الذي يتلقى الوحي الإلهي، ويبلغه لهم وللناس أجمعين، وهذه الوثيقة تبين أن مواطني الدولة الإسلامية هم المسلمون وغيرهم، وأن الجميع مسؤولون عن ضمان الحقوق داخل المدينة، وعدم التعامل مع المجرمين، وترك التعاون مع المعتدين داخل المدينة أو خارجها، بحيث لا يخرج أحد من المدينة إلى مكة إلا بإذن رسول الله -ﷺ- ولا يأوى أحد إلا بإذنه -ﷺ- كذلك وتنظم الوثيقة العلاقة بين قبائل المدينة جميعاً، وفي إطار قبول الجميع لحكم الله ورسوله -ﷺ- الذي يضمن لكل دينه وكرامته وحريته، وبوضع هذا الميثاق، وإحاطة جميع القبائل به يكون قد تم تحديد مسار الجميع، ومعرفة كل فرد في المدينة لما له، وما عليه، وبهذا الميثاق بدأت الملامح السياسية لدولة المدينة تترسخ، وتخضع لحكم تشريع واحد هو الإسلام، ويقودها إمام واحد هو رسول الله -ﷺ- والكل فيها مواطنون يتمتعون بحقوق المواطنة، وعليهم واجباتها، وبذلك تم تنظيم المجتمع في المدينة، وأصبح الطريق مفتوحاً لنشر دعوة الله في كل مكان، وبكل

(١) ينظر: تنظيمات الرسول الادارية في المدينة، صالح أحمد العلي، بلا دار طباعة، بدون سنة طبعة، ٦٠.

(٢) ينظر: النظام القضائي في الفقه الإسلامي، محمد رأفت عثمان، دار البيان، ط٢ (١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ٣٨.

الوسائل الممكنة، وهذا شيء جديد كل الجدة في تاريخ الحياة السياسية في جزيرة العرب، وبذلك نقل الرسول -ﷺ- قومه من شعار القبيلة والتبعية لها الى شعار الامة، التي تضم كل من اعتنق الدين الجديد(١)، فلقد قالت الوثيقة عنهم أنهم: (أمة واحدة)(٢).

المطلب الثالث

بناء المسجد ودوره السياسي

ان من اهم مؤسسات الدولة الاسلامية التي عمل الرسول -ﷺ- في المدينة على انشائها وتفعيل دورها هي مؤسسة المسجد، فقد قام -ﷺ-: بناء المسجد النبوي الشريف، فكان هو المكان الذي يقيم فيه المسلمون شعائرهم ويتعلمون فيه القرآن، ويتفقهون في أمور دينهم كما كان مقرا للحكم ودارا للشورى ومدرسة لتلقي العلم، ودارا للقضاء، يضاف الى ذلك الدور السياسي الذي لا غنى عنه(٣).

فالنبي -ﷺ- لم يجعل المسجد معبداً للصلاة فحسب، بل جعله ايضاً مركزا لالتقاء المسلمين فيه واستماعهم الى تعاليم الاسلام واوامره ونواهيه من الرسول -ﷺ- وبذلك اصبح المسجد بيت عبادة ودار علم ودار قضاء، وقد استحال المسجد في عهد النبي -ﷺ- الى دار ندوة كبرى يجتمع فيها المسلمون لمعرفة الاخبار السياسية والحربية(٤)، وسأبحث هذا الموضوع في النقطتين الآتيتين وكالآتي:

---

(١) ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) ١٢٣؛ وقيادة الرسول السياسية والعسكرية، ١٩٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ٥٠١/١ ؛ والبداية والنهاية، ٥٥٦/٤.

(٣) ينظر: السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت:٧٢٨هـ) وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١ (المملكة العربية السعودية/١٤١٨هـ) ٦٦٢.

(٤) ينظر: محمد خاتم المرسلين، شوقي ضيف، دار المعارف (القاهرة) ١٥٨.

اولاً: بناء المسجد

يتمتع المسجد بمنزلة كبرى في تاريخ الإسلام، وفي الحياة الإسلامية بوجه عام، فمهمة المسجد تحقيق رسالة الإسلام الكبرى، وهي عبادة الله -ﷻ- بمعناها الشامل، فالمسجد يعد المدرسة الأولى في الإسلام وقد ازدهر دور المسجد في العهد النبوي والعهود المتلاحقة(١)، ويعتبر المسجد نواة التوحيد، ومركز الاشعاع الروحي، ومنطلق التوجيه الديني، فهو المجتمع لأداء فريضة الاسلام الكبرى، وشعيرته الاولى، وهو المدرسة التي تتلقى فيها التعاليم المحمدية، وهو المصفاة التي تجلو صدا القلوب، وتنفي عنها ادران الدنيا، وهو مراح الارواح، فيه غذاء العقول، وجلاء الافهام، ومنار الحق والحقيقة، ثم هو بعد ذلك المعراج لمن اراد الصلة بعلام الغيوب، وهو مهوى افئدة المؤمنين، ومتردد المصلين، يلتقي فيه المسلمون كل يوم خمس مرات ويتلقون فيه دروسا عملية في المساواة الرفيعة والطاعة المثلى، والانقياد الخاضع الخاشع لرب العالمين، وفيه تشيع المحبة المخلصة المترفعة عن الاغراض والحطام، وتنعقد اواصر الاخوة الدينية التي تفجر في المصلين التراحم، وتدفق فيهم معاني الايثار، وتوطد عرى التناصر والتآلف، فيعرف المسلم لأخيه حقه، ويهتم بأمره، ويواسيه في محنته، ويبذل له الكثير من ماله وولائه ومودته(٢)، فمن اجل هذه المقاصد الانسانية الحيوية النبيلة حرص النبي -ﷺ- على اقامة المسجد وليكون تشريعا للامة الاسلامية من بعده.

فلما سار النبي-ﷺ- إلى المدينة مهاجراً من مكة ووصلها كان أول عمل عمله بعد وصوله أن اختار المكان الذي اتخذه مسجدا له، وكان المكان لغلامين يتيمين من الأنصار، فساومهما على ثمنه، فقالا: (بل نهبه لك يا رسول الله)(٣)، فأبى إلا أن

---

(١) ينظر: التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد، بلا دار طباعة، بدون سنة طبعة، ٣٣.

(٢) ينظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، محمد فوزي فيض الله، دار القلم، الدار الشامية، ط١ (دمشق/بيروت/١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ١٦-١٧.

(٣) شرف المصطفى، عبدالملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي أبو سعد (ت:٤٠٧هـ) دار البشائر الإسلامية، ط١ (مكة/١٤٢٤هـ) ٣٦٨/٢.

يبتاعه منهما بعشرة دنانير ذهبا أداها من مال أبي بكر، ثم ندب المسلمين للاشتراك في بناء المسجد، فأسرعوا إلى ذلك، وكان رسول الله -ﷺ- ينقل معهم اللَّبِن، حتى تم بناء المسجد وكان جدرانه من لَبِن، واعمدته من جذوع الشجر والتي قامت عليها سقفه الذي كان من جريد النخل، وكان لا يزيد عن القامة الا قليلا وكانت ارضه من التراب(١)، كان المسجد في غاية البساطة فلم تنقش جدرانه اذ كان الاتجاه الى صنع الرجال، وعمالقة الابطال.

وأول عمل قام به -ﷺ- هو بناء المسجد، وجمع فيه المهاجرين والأنصار يصلي بهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم، ويتشاور معهم في إقامة الدين، وبعث المعلمين والدعاة والمجاهدين إلى أقطار الأرض، فلقد كان بناء المسجد خطوة تنظيمية مهمة قُدمت على غيرها من خطوات إدارية تالية، ومن خلال الصلاة بروحها الجماعية استطاع الإسلام أن يصل إلى درجة كبيرة من إذابة روح العصبية القبلية، وربط الناس بالمبدأ الجديد وفق أحكام جديدة تقوم على العقيدة والأخوة لا على رابطة الدم والقرابة، وقام المسجد في بقية أجزاء الدولة بنفس هذا الدور، إذ لم يوجد مقر اخر للحكم والإدارة طول حياة الرسول -ﷺ-، وبذلك يكون المسجد أول مركز للإدارة في الإسلام(٢).

والسبب في كون بناء المسجد أول عمل قام به رسول الله -ﷺ- عندما وصل المدينة، لأن (المسجد هو الذي يضم شتات المسلمين، يجمعون فيه أمرهم، ويتشاورون لتحقيق أهدافهم، ودرء المفاسد عنهم، والتعاون لمجابهة المشكلات، وصد العدوان عن عقيدتهم، وعن أنفسهم، وأموالهم، بل هو المعقل الذي يلجئون فيه إلى بارئهم، يستمدون منه السكينة والقوة والعون، ويعمرون قلوبهم بشحنة جديدة من

(١) ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت:٥٨١هـ) تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، ط١ (بيروت/١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ٤/١٥٩-١٦٣.

(٢) ينظر: الإدارة في عصر الرسول -ﷺ-، أحمد عجاج كرمي، دار السلام، ط١ (القاهرة/ ١٤٢٧هـ) ٧٧؛ وموسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم بن عبدالله التويجري، بيت الأفكار الدولية، بدون سنة طباعة، ٤/ ٣٦٢٨.

الطاقات الروحية، بها يمنحهم الله صبراً وبأساً، وإقداما ووعيا وتبصرا ورباطة جأش، وبعد نظر، وتفاؤلا ونشاطا، وكان منطلقا للجيوش وحركات التحرير، تحرير الأمم والشعوب من العبودية للبشر، والأوثان والطواغيت، ليتشرفوا بعبوديتهم لله وحده، وكان المسجد مركزاً تربويّاً، يربي في الناس على الفضيلة، وحب العلم، وعلى الوعي الاجتماعي، ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في الدولة الإسلامية، التي أقيمت لتحقيق طاعة الله وشريعته، وعدالته ورحمته بين البشر، فكان أن انطلق تعليم القراءة والكتابة، أي البدء بمحو الأمية من مسجد رسول الله -ﷺ-، وكان المسجد مصدر إشعاع خلقي، يتشبع فيه المسلمون بفضائل الأخلاق، وكريم الشمائل)[١].

ثانياً: دور المسجد السياسي

بدأ الرسول -ﷺ- حياة الإسلام في المدينة بإقامة المسجد، ليكون شرياناً يغذي دولة الإسلام في أطوار نموها المختلفة، وليكون ذلك سنة للمسلمين من بعده، تحمل في طياتها مكانة المسجد، ودوره في بناء الدولة وتطور المجتمع المسلم، فكان ولا يزال المسجد شعار الحياة في المجتمع الإسلامي، ويدل على ذلك اهتمام الرسول -ﷺ- ببناء المسجد أول قدومه إلى المدينة، مما يدل دلالة صادقة على أهميته وضرورته، ولم يكن المسجد بناية لأداء الصلاة فقط، بل كانت له وظائف أخرى كثيرة تتعلق بسياسة الدولة، وفي هذا إشارة إلى أن المسجد إنما أقيم كمؤسسة محققة لأهداف الإسلام ورعاية مصالح الدنيا والآخرة[٢]، وان من ابرز الادوار السياسية للمسجد الآتي:

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، ط٢٥ (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) ١٠٨.

(٢) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم -ﷺ-، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط٤ (جدة) ١/١٧١.

١- لقد جعل النبي -ﷺ- المسجد مركز إعلام للدفاع عن الإسلام، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- (أن عمر بن الخطاب، مر بحسان بن ثابت[١] وهو ينشد الشعر في المسجد، فلحظ إليه، فقال: قد كنت أنشد، وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة، فقال: أنشدك الله أسمعت رسول الله -ﷺ- يقول: (أجب عني، اللهم أيده بروح القدس)؟ قال: اللهم نعم)[٢]، وفي هذا الحديث دلالة على جواز إنشاد القصائد والأشعار في المسجد والتي تدعو إلى المساجلات السياسية التي يمكن أن تحصل بين الرسول-ﷺ- وخصومه لتوضيح بعض التخرصات التي تصدر منهم، لما في ذلك من الأثر العظيم في النفوس، وتشجيع أهل الحق[٣]، واعلامهم بفضائل الاعمال

(١) هو الصحابي الجليل حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن عدي، شاعر الرسول المنافح عنه، والمناضل المؤيد بروح القدوس، كان يكنى أيضا بأبي الحسام لمناضلته عن رسول الله -ﷺ- بلسانه الغازي به أعراض المشركين، عاش مائة وعشرين سنة، ستون في الجاهلية وستون في الإسلام، وكذلك عاش أبوه وأبو أبيه، وأبو جده، ولا يعرف في العرب أربعة تناسلوا من صلب واحد اتفقت مدة تعميرهم مائة وعشرين سنة غيرهم ؛ ينظر: معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني (ت:٤٣٠هـ) تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، ط١ (الرياض/ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) ٨٤٥/٢ ؛ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت:٤٦٣هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١ (بيروت/١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ٣٤١/١.

(٢) أخرجه مسلم في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -ﷺ-، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل حسان بن ثابت -رضي الله عنه-، رقم الحديث: (٢٤٨٥) ١٩٣٢/٤.

(٣) ينظر: المساجد مفهوم، وفضائل، وأحكام، وحقوق، وآداب في ضوء الكتاب والسنة، سعيد ابن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير (الرياض) ٦٠؛ وصلاة المؤمن مفهوم، وفضائل، وآداب، وأنواع، وأحكام، وكيفية، في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مركز الدعوة والإرشاد، ط٤ (القصب/١٤٣١هـ/٢٠١٠م) ٥٧٨/٢.

كالدعوة للجهاد وتحميس الجند وحضّهم على الاستبسال والاستشهاد في سبيل الله[١].

٢- كان المسجد ساحة للتدريب على فنون القتال، فقد أذن النبي -ﷺ- لعائشة وهي خلفه، في رؤية الحبشة وهم يلعبون بحرابهم في مسجد النبي -ﷺ- يوم عيد، قالت عائشة -رضي الله عنها-: (لقد رأيت رسول الله -ﷺ- يوماً على باب حجرتي، والحبشة يلعبون في المسجد، ورسول الله -ﷺ- يسترني بردائه أنظر إلى لعبهم)[٢].

(واللعب بالحراب ليس لعبا مجردا بل فيه تدريب الشجعان على مواقع الحروب والاستعداد للعدو)[٣]، فنلاحظ ان المسجد كان بمثابة القاعدة العسكرية التي تنطلق منها الجيوش والسرايا والبعوث، وقد كانت مراسم بعث السرايا، وتولية الأمراء عليها، تتم في المسجد بشكل مبسط، لكنه متقن ومنظم، وبانضباطية مدهشة، وكان من أهم مراسم تولية القادة والأمراء على السرايا والبعوث، الوصايا التي كان القائد الأعلى للقوات الإسلامية محمد -ﷺ- يزود بها القادة والأمراء كلما بعثهم في بعث، أو أرسلهم في سرية، وان وصايا الحرب تلك كانت بمثابة تشريعات للحرب المقدسة التي كان يخوضها المسلمون ضد أعدائهم، والتي توضح بجلاء أي نوع من الحرب كان المسلمون يمارسونها ضد الأعداء باختلاف مشاربهم، وتعدد عداواتهم، إن التأكيد في تلك الوصايا بالالتزام بالأخلاق الإسلامية السامية في التعامل مع الأعداء

(١) ينظر: دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية -رضي الله عنه-، ١٨٧.

(٢) أخرجه البخاري في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -ﷺ- وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله (ت:٢٥٦هـ) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١ (١٤٢٢ه)، كتاب الصلاة، باب أصحاب الحراب في المسجد، رقم الحديث: (٤٥٤) ٩٨/١.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة (بيروت/١٣٧٩هـ) ٥٤٩/١.

لأمر يثير الدهشة حقا[١].

٣- وفي المسجد تقام مجالس الشورى، فكان المسجد في عهد رسول الله -ﷺ- مكان الاجتماع العام الذي كانت جلسات الشورى تعقد فيه، ومن ذلك استشارة النبي -ﷺ- اصحابه -رضي الله عنهم- في غزوة احد، فقد استشارهم في المسجد بعد صلاة الجمعة، وكان رايه -ﷺ- أن يبقى المسلمون متحصنين داخل المدينة، لكن الأغلبية من الشباب كانت تفضل ملاقاة المشركين خارج المدينة حتى لا يفوتهم اجر الشهادة في سبيل الله الذي فاتهم يوم بدر، وقد فضل النبي -ﷺ- النزول لرغبتهم اخيراً، فخرج لملاقاة المشركين خارج المدينة[٢]، وهكذا أقام النبي -ﷺ- الشورى في زمنه بحسب مقتضى الحال من حيث قلة المسلمين واجتماعهم معه في مسجد واحد، فكان يستشير السواد الأعظم منهم وهم الذين معه ويخص منهم أهل الرأي والمكانة والوجاهة بالاستشارة في كثير من الأمور[٣]، (وهكذا كانت أغلب مشاوراته -ﷺ- في المسجد، وكذا صحابته الكرام من الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-[٤]: (وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد، فإن النبي-ﷺ- أسس مسجده المبارك على التقوى، فيه

(١) ينظر: المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني أبو عبد الله الواقدي (ت:٢٠٧هـ) تحقيق: مارسدن جونس، دار الاعلمي، ط٣ (بيروت/١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ٢٠٩/١-٢١٣.

(٢) ينظر: الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، علي محمد محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، مكتبة التابعين، ط١ (الشارقة/القاهرة/١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ٦٤/٣.

(٣) ينظر: الشورى في الشريعة الإسلامية، القاضي حسين بن محمد المهدي، تقديم: عبدالعزيز المقالح، مكتبة المحامي، ٣٦ .

(٤) هو شيخ الإسلام علم الزهاد نادرة العصر تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي، كان من بيت علم، ولد سنة ٦٦١هـ، وتوفي في دمشق سنة ٧٢٨هـ، لم يجئ بعد الصحابة مثله لأنه اجتمع فيه أشياء لم تجتمع في غيره بعد الصحابة -رضي الله عنهم-؛ ينظر: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (ت:٤٧٥هـ) دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤١١/١٩٩١م) ٥٦/٣.

الصلاة والقراءة، والذكر، وتعليم العلم، والخطب وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء، وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم، وكذلك عماله في مكة، والطائف وبلاد اليمن وغير ذلك من الأمصار والقرى، وكذلك عماله على البوادي، فإنه لهم مجمعاً، فيه يصلون، وفيه يساسون... وكان الخلفاء والأمراء يسكنون في بيوتهم كما يسكن سائر المسلمين في بيوتهم، لكن مجلس الإمام الجامع هو المسجد الجامع)[١]، ويمكن تطبيق هذه الصورة الرائعة بعد التوسع في المدن أن يكون مجلس إمام المسجد، أو مختار الحي، أو العالم الموجود في الحي أن يعقدوا لقاءهم في المسجد للتشاور فيما بينهم فيما يهم المصلين، وهذا الالتقاء له فوائده العديدة وثماره اليافعة، ويكفي أن يلتقي جملة من المصلين للتشاور فيما بينهم في بيت من بيوت الله تعلوهم السكينة، وتجمعهم تقوى الله -ﷻ-، ومن خلال هذا التشاور يعدلون سلوك مخطئ، ويتنبهون لمريض فقدوه، ويطلعون على أحوال فقير فيساعدوه، ومحتاج فيعينوه، أو مديون فيتحملون عنه دينه الى غير ذلك... وهكذا[٢].

٤- (وفي المسجد جلس الرسول -ﷺ- ليقضي بين الخصوم، ويصلح بين الناس، ويفض منازعاتهم)[٣]، فكان المسجد النبوي الشريف مكاناً للقضاء، وذلك طيلة عهد النبي -ﷺ- وصاحبيه الجليلين أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-، وفي عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- تم بناء أول دار للقضاء، وبعد ذلك اتخذ قضاة الأمصار في الدولة الإسلامية الجامع مكاناً لانعقاد مجالس القضاء لأنه أسهل

(١) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت:٧٢٨هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (المدينة النبوية المنورة/ ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ٣٥/٣٩-٤٠.

(٢) ينظر: المشروع والممنوع في المسجد، فالح بن محمد بن فالح الصغير، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية/١٤١٩هـ) ٢٧.

(٣) الصلاة وصف مفصل للصلاة بمقدماتها مقرونة بالدليل من الكتاب والسنة وبيان لأحكامها وآدابها وشروطها وسننها من التكبير حتى التسليم، عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، مدار الوطن للنشر، ط١٠ (١٤٢٥هـ) ٤١٠.

المجالس، وأرفقه بالناس، وأحرى ألا يخفى على من أراد مجلس القاضي، وهو المكان الاولى لإقامة العدل واستشعار الرقابة الالهية على جميع البشر[١]، وفي الحكم والقضاء يعنون البخاري –رحمه الله– بابًا سماه: باب من قضى ولاعن في المسجد، ثم قال: ولاعن عمر عند منبر النبي –ﷺ–، فعن سهل بن سعد[٢] ان رجلا من الانصار جاء إلى النبي –ﷺ– فقال: (أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتلاعنا في المسجد وأنا شاهد)[٣]، وأورد أيضاً باباً سماه: باب من حكم في المسجد، وأورد فيه حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: (أتى رجل رسول الله –ﷺ– وهو في المسجد فناداه فقال: (يا رسول الله إني زنيت) فأعرض عنه، فلما شهد على نفسه أربعًا قال: (أبك جنون)؟ قال: (لا)، قال: (اذهبوا فارجموه)[٤]، ومثل القضاء والفتوى الصلح بين الناس، وحل مشكلاتهم، وفك نزاعاتهم، وتسوية خصوماتهم، عن

(١) ينظر: نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، سالم بن عبد الله الخلف، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١ (المملكة العربية السعودية/ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ٦٥٧/٢.

(٢) هو الصحابي الجليل سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الساعدي من بني ساعدة بن كعب بن الخزرج كنيته أبو العباس مات سنة إحدى وتسعين وقيل سنة ثمان وثمانين كان اسمه (حزنا) فسماه النبي –ﷺ– (سهلا) وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة ؛ ينظر: الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي (ت:٣٥٤هـ) طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ط١ (الهند/١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ١٦٨/٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاحكام، باب من قضى ولاعن في المسجد ولاعن عمر عند منبر النبي –ﷺ– وقضى شريح والشعبي ويحيى بن يعمر في المسجد وقضى مروان على زيد بن ثابت باليمين عند المنبر وكان الحسن وزرارة بن أوفى يقضيان في الرحبة خارجا من المسجد، رقم الحديث: (٧١٦٦) ٦٨/٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاحكام، باب من حكم في المسجد، رقم الحديث: (٧١٦٧) ٦٨/٩.

كعب بن مالك[١] -ﷺ- (أنه تقاضى ابن أبي حدرد[٢] دينا كان له عليه في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله -ﷺ- وهو في بيته فخرج إليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى: (يا كعب) قال: (لبيك يا رسول الله) قال: (ضع من دينك هذا) وأومأ إليه أي الشطر، قال: (لقد فعلت يا رسول الله) قال: (قم فأقضه)[٣]، الى غير ذلك من النصوص النبوية التي تفيد أن من مهمات المسجد كونه ميداناً للفتوى، والإجابة عن أسئلة الناس وحل مشكلاتهم وما يطرأ عليهم.

٥- واستخدم المسجد بأمر النبي -ﷺ- داراً للضيافة، عن سفيان بن عطية بن ربيعة الثقفي[٤]، قال: قدم وفدنا من ثقيف على النبي -ﷺ-، فضرب لهم قبة، وأسلموا في النصف من رمضان، فأمرهم رسول الله -ﷺ-، فصاموا منه ما استقبلوا منه، ولم يأمرهم بقضاء ما فاتهم[٥]، وكذلك اقام في المسجد النبوي وفد نصارى

---

(١) هو الصحابي الجليل كعب بن مالك بن أبى كعب بن القين بن كعب الانصاري السلمي من بنى سلمة بن سعد، وهو ممن شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد إلا تبوك فكان من المتخلفين عنها ثم تاب الله عليه، وكان من النقباء والشعراء ممن له شهامة في شبابه وبراعة في يفاعته كنيته أبو عبد الله توفي بالمدينة أيام قتل على بن أبى طالب -ﷺ- ؛ ينظر: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ابن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم الدارمي البستي (ت:٣٥٤هـ) حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ (المنصورة/١٤١١هـ/١٩٩١م) ٣٨.

(٢) هو الصحابي الجليل سلامة بن عمير بن أبي سلامة بن سعد بن مساب بن الحارث بن عبس بن هوازن بن أسلم بن أفصى قال بعضهم: اسم أبي حدرد: عبد الله، وأول مشهد شهده مع رسول الله -ﷺ- الحديبية، ثم خيبر، وما بعد ذلك من المشاهد، ينظر: الثقات، ٣٠٩/٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التقاضي، رقم الحديث: (٤٥٧) ٩٩/١.

(٤) هو الصحابي الجليل سفيان بن عطية بن ربيعة الثقفي وهو من الطائف، قدم مع وفد ثقيف على رسول الله -ﷺ- ؛ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين ابن الأثير (ت:٦٣٠هـ)، دار الفكر، (بيروت/١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ٤٩٧/٢.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب=

نجران بأمره -ﷺ- ووكل بهم من يرعاهم، بل اكثر من ذلك فانهم عندما حان وقت صلاتهم سمح لهم بإقامة صلاتهم فيه وامر اصحابه بتركهم، لانهم كانوا قد حاولوا منعهم[١]، فكانوا يصلون في جانب منه ورسول الله -ﷺ- والمسلمون يصلون في جانب آخر،[٢] قال ابن القيم[٣] -رحمه الله-: (إنه يؤخذ من هذه القصة جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين)[٤].

٦- كان النبي -ﷺ- اذا ما احتاج الى تنبيه الناس على امر ما، جمعهم في المسجد، فهذه ميزة أخرى للمسجد في الإسلام أنه تنبعث منه في كل أسبوع كلمة الحق مدوية مجلجلة على لسان خطيبه، في إنكار منكر أو أمر بمعروف، أو دعوة

=العلمية، ط٣ (بيروت/١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م) كتاب الصيام، باب الرجل يسلم في خلال شهر رمضان، رقم الحديث: (٨٣٠٨) ٤٤٨/٤، حديث صحيح صححه البيهقي.

(١) ينظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله -ﷺ- والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري أبو الربيع (ت:٦٣٤هـ) دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤٢٠هـ) ٣١١/١.

(٢) ينظر: مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، مصطفى بن حسني السباعي (ت:١٣٨٤هـ) دار الوراق للنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي، ط١ (بيروت/ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ١٣٥.

(٣) هو أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الاصل ثم الدمشقي ابن قيم الجوزية ولد سنة ٦٩١ه وهو تلميذ شيخ الاسلام ابن تيمية، له التصانيف الانيقة والتآليف التي في علوم الشريعة سمع من القاضي سليمان بن حمزة وعيسى المطعم وطبقتهما ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأخذ عنه علما جما وكان ذا فنون من العلوم وخاصة التفسير والاصول من المنطوق والمفهوم، توفي -رحمه الله- سنة ٧٥١ه ؛ ينظر: الرد الوافر، محمد بن عبد الله أبي بكر بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي شمس الدين الشهير بابن ناصر الدين (ت:٨٤٢هـ) تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط١ (بيروت/ ١٣٩٣هـ) ٦٨.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، ط٢٧(بيروت/ الكويت/ ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ٥٥٧/٣.

إلى خير أو إيقاظ من غفلة، أو دعوة إلى تجمع، أو احتجاج على ظالم، أو تحذير لطاغية[١]، بل وكان الخليفة بعد مبايعته يصعد المنبر ويلقي خطبته الأولى مضمنا إياها سياسته في الحكم[٢]، وها نحن نشاهد اليوم كيف ان المساجد اصبحت مراكز الانطلاق للحركات الوطنية والجماهير الاسلامية الواعية ضد الظالمين والفاسدين والمستبدين من الزعماء والمسؤولين.

وإن كنا نرى اليوم تعطيل المساجد عن القيام بوظيفتها الكبرى، فما ذلك إلا ذنب الحكومات وسياساتها المدروسة في العمل على ابعاد المجتمع عن المسجد ودورها الكبير والموجه في تحجيم دور المسجد الحقيقي، يضاف الى ذلك بعض الخطباء من الموظفين المرتزقين، او الجاهلين الغافلين، الذين لا يحملون هم الامة والعمل على اصلاحها افراداً ومجتمعات، وهؤلاء لا يجيدون هذا الفن، ويوم يعتلي منابرها ويؤم محاريبها دعاة أشداء في الحق، علماء بالشريعة، مخلصون لله ولرسوله، ناصحون لأئمة المسلمين وعامتهم، يعود للمسجد في مجتمعنا الإسلامي مكان الصدارة في مؤسساتنا الاجتماعية، ويعود المسجد ليعمل عمله في تربية الرجال، وإخراج الأبطال، وإصلاح الفساد، ومحاربة المنكر، وبناء المجتمع على أساس من تقوى الله ورضوانه، وإنا لنأمل ذلك إن شاء الله[٣].

المطلب الرابع

المؤاخاة وحل المشكلة الاقتصادية للمهاجرين

إن الأمر الآخر الذي اهتم به النبي -ﷺ- في بناء الدولة وكان إجراءاً إداريّاً وسياسياً ضروريّاً في هذه المرحلة هو نظام المؤاخاة، لقد كانت هذه المؤاخاة ضرورية لإذهاب الوحشة عن المهاجرين، وليشد بعضهم بعضا ولا سيما أن المهاجرين تركوا كل المقومات الأساسية للحياة في مكة؛ وهكذا كانت المؤاخاة

(١) ينظر: السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى بن حسني السباعي (ت:١٣٨٤هـ) المكتب الإسلامي، ط٣ (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ٧٥.

(٢) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ٢٨٤.

(٣) ينظر: السيرة النبوية دروس وعبر، ٧٥.

خطوة مهمة في توحيد المجتمع الجديد تضاف إلى ما سبقها من خطوات، وكان النبي -ﷺ- قد فكر جديّاً بنظام يحل محل نظام (الأحلاف)[١]، الذي كان سائدا في الجاهلية فوضع نظام المؤاخاة بديلا عن ذلك[٢]، وسأبحث هذا الموضوع في النقطتين الآتيتين، وكالآتي:

اولاً: نظام المؤاخاة

ان المؤاخاة على الحب في الله من أقوى الدعائم في بناء الأمة المسلمة، فإذا وهت يتآكل كل بنيانها، ولذلك حرص النبي -ﷺ- على تعميق معاني الحب في الله في المجتمع المسلم الجديد، فبدأ ينظم الدولة الناشئة في المدينة، فأراد أولا أن يطمئن على أن المهاجرين يعيشون في استقرار في مهاجرهم في هذه المدينة الطيبة، فأخذ يؤاخي بين المهاجرين والأنصار، وذلك حتى يندمج المهاجرون في مجتمع المدينة فلا يشعروا بالغربة[٣]، وفي مؤاخاة الرسول -ﷺ- بين المهاجرين والأنصار أقوى مظهر من مظاهر عدالة الإسلام الإنسانية الأخلاقية البناءة، فالمهاجرون قوم تركوا في سبيل الله أموالهم وأراضيهم، وجاؤوا الى المدينة لا يملكون من حطام الدنيا شيئا، والأنصار قوم أغنياء بزروعهم وأموالهم وصناعتهم، فليحمل الأخ أخاه،

(١) الحليف: هو جار بصفة لازمة، إذ إن صلته ليست مؤقتة كالجار؛ فالحلف جوار دائم، ولفظ الحلف فيه معنى القسم وكانت منزلة الحليف من حليفه كمنزلة القريب، حكمه حكم أفراد القبيلة إلا في حالة الدية، وهذا الحلف يسمى عند المسلمين ولاء الموالاة، وكان في الجاهلية بين عربي وعربي، وقد كان الرجلان يشهدان على أنفسهما ويعقدان الحلف بالمواثيق والأيمان والعهود، ويقول احدهما للاخر: (دمي دمك، وثأري ثأرك، وحربي حربك، وسلمي سلمك، ترثني وأرثك، وتطلب بي وأطلب بك، وتعقل عني وأعقل عنك) ؛ ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ٣٨٢/١٤.

(٢) ينظر: الإدارة في عصر الرسول -ﷺ-، ٧٨.

(٣) ينظر: فدائيون من عصر الرسول، أحمد عبد اللطيف الجدع، دار الضياء، ط٥ (الاردن/ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ٦٥ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد محمد الصلابي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٧ (بيروت/١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ٣١٧.

وليقتسم معه سراء الحياة وضراءها، ولينزله في بيته مادام فيه متسع لهما، وليعطه نصف ماله ما دام غنيا عنه، موفرا له، فأية عدالة اجتماعية في الدنيا تعدل هذه الأخوة؟ إن الذين ينكرون أن يكون الإسلام عدالة اجتماعية، قوم لا يريدون أن يبهر نور الإسلام أبصار الناس ويستولي على قلوبهم، أو قوم جامدون يكرهون كل لفظ جديد ولو أحبه الناس وكان في الإسلام مدلوله، وإلا فكيف تنكر العدالة الاجتماعية في الإسلام وفي تاريخه هذه المؤاخاة الفذة في التاريخ، وهي التي عقدها صاحب الشريعة محمد -ﷺ- بنفسه، وطبقها بإشرافه، وأقام على أساسها أول مجتمع ينشؤه، وأول دولة يبنيها؟ سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم[١] ولقد آخى رسول الله -ﷺ- بين أصحابه من المهاجرين والأنصار[٢].

يقول ابن القيم -رحمه الله-: (ثم آخى رسول الله -ﷺ- بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك[٣] -رضي الله عنه-، وكانوا تسعين رجلا نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله -عز وجل-: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾[٤]، رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة)[٥]، أي ان المؤاخاة في الميراث قد نسخت بعد معركة بدر، واصبح الميراث وقفاً على الاقرباء من دون الناس[٦].

---

(١) ينظر: السيرة النبوية دروس وعبر، ٧٥-٧٦.

(٢) ينظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله -ﷺ- والثلاثة الخلفاء، ٢٩٨/١.

(٣) هو الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر وأمه أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر يكنى أبا حمزة، مات بالبصرة سنة ٩٣ه، له بالبصرة أربع دور، خدم رسول الله -ﷺ-، عشر سنين، مدة مقامه بالمدينة ؛ ينظر: اسد الغابة في معرفة الصحابة، ١٥١/١.

(٤) سورة الاحزاب: الآية ٦.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٦/٣-٥٧.

(٦) ينظر: دولة الرسول في المدينة، ممدوح العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٨م) ١٦٦.

فقد ابتدأ عمله -ﷺ- في المدينة المنورة بإيجاد الروابط التي تربط آحاد الجماعة الإسلامية، وتكون وحدة تضم بها العناصر المختلفة الأنساب والأماكن، وأن يجعل من ذلك المجتمع المختلف أنسابا وقبائل مجتمعا مؤتلفا في شعوره، تمحى فيه الفوارق، والأمور التي تفرق ولا تجمع[١]، ولقد جاء في الروض الأنف: (آخى رسول الله -ﷺ- بين أصحابه حين نزلوا بالمدينة المنورة، ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض)[٢].

فكانت المؤاخاة التي عقدها الرسول -ﷺ- بين المهاجرين والأنصار تدريباً عمليّاً على الأخوة الإسلامية التي تبعثها تلك العقيدة في نفوس المؤمنين بها، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٣]، وكان تدريباً ناجحاً فذّاً في نجاحه، فريداً في التاريخ، وكانت كذلك تدريباً عملياً على التكافل وهو معنى من المعاني العميقة في بناء الجماعة الإسلامية، القادرون يكفلون غير القادرين على أساس الأخوة في الله من جانب، وعلى أساس التصرف في مال الله بما يرضي الله -ﷻ- من جانب آخر[٤]، وكانت هذه المؤاخاة حكمة فذّة، وسياسة صائبة، وحلٌّ رائعٌ لكثير من المشكلات التي كان يواجهها المسلمون آنذاك[٥]، وهكذا وهكذا توثقت وحدة الرسول -ﷺ- في المدينة نتيجة تلك المؤاخاة بين المهاجرين

(١) ينظر: خاتم النبيين -ﷺ- محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت:١٣٩٤هـ) دار الفكر العربي (القاهرة/١٤٢٥هـ) ٢/٤٩٠-٤٩١.

(٢) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ١٧٨/٤.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٤) ينظر: منهج التربية الإسلامية، محمد بن قطب بن إبراهيم، دار الشروق، ط١٦، ٣٠٥/٢.

(٥) ينظر: رحمة للعالمين محمد رسول الله سيد الناس أجمعين نبي الرحمة، الرحمة المهداة خاتم خاتم المرسلين نشأته، وأخلاقه، ومعجزاته، وعموم رسالته -ﷺ- في ضوء الكتاب والسنة، ٢٦٣.

والانصار، بعد ان كان المسلمون فيها قبائل مختلفة فيما بينها، واصبح المسلمون المتآخون يشكلون رقماً صعبا يحسب مشركو مكة لهم حساباً كبيراً[١].

وللتآخي دلالة اخرى هي تأكيد الاسلام للمساواة بين المسلمين جميعاً، تجلت صورتها في تآخي بعض افراد من القبائل الكبيرة، وبين بعض الموالي والعبيد، وليس هذا فحسب، بل المؤاخاة جعلت هذه المجموعات وهؤلاء الافراد ينصهرون في بوتقة الاسلام، فتشكلت منها اسرة اسلامية متعاونة ومتحابة يربطها رباط التوحيد، ناسية العصبية ونزعاتها الجاهلية مما انتج جماعة اسلامية واحدة، وصارت ركيزة سياسية للمجتمع الاسلامي وذلك لان روح الاسلام هي التي خلقت من عناصر متفرقة كالأنصار والمهاجرين أول مجتمع اسلامي متجانس[٢].

ونهاية القول ان المؤاخاة هي صلة الأمة بعضها بالبعض الاخر، فقد أقامها الرسول -ﷺ- على الإخاء الكامل، ويتحرّك الفرد فيه بروح الجماعة ومصلحتها وامالها، فلا يرى لنفسه كيانا دونها، ولا امتدادا إلا فيها، ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبيات الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وأن تسقط فوارق النّسب واللون والوطن، فلا يتأخّر أحد أو يتقدّم إلا بايمانه وتقواه، وقد جعل الرسول -ﷺ- هذه الأخوة عقدا نافذا، وعملا يرتبط بالدماء والأموال، لا تحية تثرثر بها الألسنة، ولا يقوم لها أثر، وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال[٣].

ثانياً: حل المشكلة الاقتصادية للمهاجرين

لقد كانت المؤاخاة ذات صبغة مالية، إذ تقضي أن يشترك المتآخون في الأموال، لتخفيف المعاناة عن المهاجرين الذين اضطروا إلى ترك المال والأهل في

(١) ينظر: قيام الدولة العربية الاسلامية في حياة محمد -ﷺ- محمد جمال الدين سرور، دار الفكر العربي، ط٥ (١٩٦٦م) ٩٤.

(٢) ينظر: دولة الرسول في المدينة، ١٦٦.

(٣) ينظر: فقه السيرة، محمد الغزالي السقا (ت:١٤١٦هـ) تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم، ط١ (دمشق/١٤٢٧هـ) ١٩٠.

مكة[١]، مما جعل مجتمع المدينة المنورة مهدد بالطبقية والتفاوت الهائل في امتلاك الاموال.

ولهذا سارع النبي -ﷺ- بإيجاد حلول جذرية لهذه المشكلة الاقتصادية الخطيرة التي تهدد مجتمع المدينة المنورة بالتقسيم، وانطلاقا من الأصل الاقتصادي الإسلامي في شأن التفاوت المنضبط أو حفظ التوازن الاقتصادي (إعادة التوزيع عند افتقاد التوازن)، تعين على المشرع الإسلامي أو الحاكم، أو ولي الأمر، أو أهل الحل والعقد التدخل من وقت لآخر لإعادة هذا التوازن عند افتقاده، وهو ما فعله الرسول -ﷺ- عند هجرته إلى المدينة، إذ ظهر اختلال في المراكز الاقتصادية بين المهاجرين والأنصار بعد أن ترك المهاجرون أموالهم بمكة بينما كان الأنصار بالمدينة وأساس ثروتهم هو الزراعة ولبعضهم أراض واسعة استخدموا فيها المهاجرين كأجراء وهو ما لا يحقق التوازن الاقتصادي[٢]، ومن ثم حرم الرسول -ﷺ- تأجير الأرضي الزراعية بقوله: (من كانت له أرض فليزرعها، فإن لم يستطع أن يزرعها وعجز عنها، فليمنحها أخاه المسلم، ولا يؤاجرها إياه)[٣].

فنظام المؤاخاة أمر اقتضاه تيسير سبل المعيشة على أهل مكة المسلمين الذين تركوا بلدهم، وديارهم، وثرواتهم، وهاجروا إلى يثرب حفاظا على عقيدتهم الإسلامية، وإيمانهم الراسخ المتين، فعمد الرسول -ﷺ- إلى توفير أسباب العيش الكريم لهذا النفر من المسلمين لوضع نظام المؤاخاة، فوزع الرسول الكريم -ﷺ- جماعة المهاجرين بمكة بمقتضى نظام المؤاخاة، وزعهم على مسلمي يثرب بأن دعاهم إلى أن يتآخوا في الله أخوين أخوين، وعاش كل مهاجر من مكة مع أخ له من مسلمي يثرب، ويرث كل منهما الآخر عند الوفاة، وأظهر أهالي يثرب من المسلمين إخلاصا مثاليا في تطبيق نظام المؤاخاة، وهو الأمر الذي امتدحه القرآن

(١) ينظر: الإدارة في عصر الرسول -ﷺ-، ١٤٦.

(٢) ينظر: الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، محمد شوقي الفنجري (ت:١٤٣١هـ) (وزارة الأوقاف) ١٠٦-١٠٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب كراء الارض، رقم الحديث: (١٥٣٦) ١١٧٦/٣.

الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١]، فسمح كل مسلم من أهل يثرب لأخيه من المهاجرين بالمشاركة في الأعمال التجارية، وغيرها من شئونه الاقتصادية، وتقديمه كل ما يخفف متاعب الحياة عن هذا المهاجر، وعندما استقرت أحوال المهاجرين باتساع سلطان الدين الإسلامي، وكثرة أتباعه، لم يعد هناك حاجة إلى الاستمرار في نظام المؤاخاة، ونزل التشريع الإسلامي بإلغائه، وإبطال أحكامه الانتقالية[٢]، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾[٣].

وقد اهتم النبي -ﷺ- بالجانب الاقتصادي لأن هناك آثار تترتب على اختلال الاقتصاد في الدولة ومنها الآتي:

١. تفشي الفقر.
٢. انخفاض مستوى المعيشة.
٣. وجود فوارق طبقية هائلة.
٤. ارتفاع نسبة البطالة.
٥. غياب أو ضعف الرقابة الحكومية على الحركة الاقتصادية[٤].

(فالعقيدة الإسلامية -والتربية الإسلامية كذلك- تربي المسلمين على أن المال الذي في أيديهم هو مال الله في الحقيقة، هو الذي وهبه -وإن شاء أخذه- وهو الذي ملكه لمن ملكه له، ومن ثم يخف في أنفسهم الشعور البشري بالملك، الذي يستبد بالناس في الجاهلية فيصبح جنوناً لا يترك صاحبه في راحة، يريد أن يستزيد دائماً

(١) سورة الحشر: الآية ٩.
(٢) ينظر: السياسة الشرعية، ٧٠.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٧٥.
(٤) ينظر: الأثر الأمني لتعليم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع، إعداد: النقيب عبدالعزيز بن فهد الريس، معلم القرآن الكريم بمعهد الجوازات، إشراف: اللجنة العلمية للملتقى الثالث للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية، ١٢.

لينتفش ويستكبر بمقدار ما يزيد، أما في حس المسلم فالمال في يده نعم، ولكنه مال الله في الحقيقة، وقد أمر الله بإنفاق جانب منه للمحتاجين إليه من الإخوة في المجتمع الإسلامي، فينفق المسلم ذلك عن طيب خاطر -بمقدار رسوخ العقيدة ورسوخ التربية الإسلامية في نفسه- سواء في الزكاة المفروضة أو في التطوع الذي ليست له نسب مقررة ولا حدود، ويتم بذلك التكافل الذي تتسم به حياة المسلمين، سواء في داخل الأسرة أو في المجتمع على اتساعه ويتم التخلص من الشح، وذلك ركيزة من ركائز التربية الإسلامية)[١].

المبحث الثاني

اعداد مؤسسات الدولة

ان من اهم مؤسسات الدولة الاسلامية التي عمل الرسول -ﷺ- في المدينة على انشائها وتفعيل دورها هي مؤسسة الجيش، والولّاة، والقضاء، فقد قام -ﷺ- في بناء وانشاء هذه المؤسسات، فكان للمسجد النبوي المكان الذي يقيم فيه المسلمون شعائرهم ويتعلمون فيه القرآن مقرا للحكم، ومقرا للقيادة العسكرية، ودارا للشورى، ومدرسة لتلقي العلم، ودارا للقضاء، يضاف الى ذلك الدور السياسي الذي لا غنى عنه، ولا تنتظم أمور الناس إذا لم يكن هناك مؤسسات مستقلة، وإن كان أُولى مقدمات التقدم الحضاري هو أن تقام إدارة للعدل مستقلة عن إدارة الحكم، ويُقال: أرني قوانين أمة، أدلك على حظها في الرقي أو الانحطاط، فلا بد من وجود مؤسسات دولة وقوانين ونظم، كالجيش، والولّاة، والقضاء، وتكون في أعلى درجات النزاهة، والتقوى، والعلم والخبرة، وهذا ما سأبحثه في المطالب الآتية وكالآتي:

المطلب الاول: بناء الجيش.

المطلب الثاني: الولاية على الأقاليم.

المطلب الثالث: مؤسسة القضاء.

(١) منهج التربية الإسلامية، ٣٠٥/٢.

المطلب الاول

بناء الجيش

ان السيرة النبوية غنية في أبعادها الأمنية، منذ تربية الأفراد، وحتى بعد قيام الدولة، وتظهر الحاجة لإيجاد أجهزة أمنية متطورة – ومنها الجيش – تحمي الإسلام والمسلمين من أعدائها، وتعمل على حماية الصف المسلم في الداخل من اختراقات الأعداء فيه، وتجتهد لرصد أعمال المعارضين والمحاربين للإسلام، حتى تستفيد القيادة من المعلومات التي تقدمها لها أجهزتها الأمنية، ولا بد أن تؤسس هذه الأجهزة على قواعد منبعها القرآن الكريم والسنة النبوية، وتكون أخلاق رجالها قمة رفيعة تمثل صفات رجال الأمن المسلمين(١).

(كما وتختلف الغايات والأهداف في إنشاء الجيوش العسكرية عند الآخرين، فمنها إنشاء الجيوش لحماية الدولة من التدخل الأجنبي فحسب، ومنها إنشاؤها لحماية المقدرات والمكتسبات، ومنها التعدي على الآخرين لزيادة نفوذ الدولة والسيطرة على أكبر قدر ممكن من الأرض، وذلك لأطماع اقتصادية في الغالب، ويرجع هذا كله إلى طبيعة تكوين الدول وقوة جيشها وتسليحه... لكن إنشاء الجيش الإسلامي تختلف أهدافه تماماً، فغاياته سامية، وغرضه نبيل، فالغرض ديني بحت لنشر الإسلام وإقامة شرع الله في الأرض لا لشيء آخر)(٢)، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾(٣).

ورغم أن أتباع الرسول –ﷺ– كان معظمهم قد مارسوا القتال في جاهليتهم وعرفوا كيف يحملون السلاح ويستخدمونه في ظروف يمكن ان تكون فيها الحياة للأقوى، ورغم أن الأنصار الذين قامت دولة الإسلام في المدينة على أكتافهم قد

(١) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ٩٤.

(٢) أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين، محمد بن محمد العواجي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٤٥.

(٣) سورة النساء: الآية ٧٦.

أعربوا للرسول يوم بيعتهم الأخيرة في العقبة عن قدراتهم في القتال وبأسهم في الحرب وقالوا: (نحن أبناء الحروب ورثناها كابرا عن كابر)[١]، إلا أن الظروف الجديدة التي بدأ الإسلام يجتازها، وتصاعد الموقف الحربي بينه وبين القوى الوثنية وبخاصة في أعقاب الهجرة إلى المدينة، ونزول الآيات القرآنية تؤذن ببدء القتال المسلح، حتّم على الرسول -ﷺ- أن ينمّي هذه القدرات وأن يدفع أتباعه إلى مزيد من التدريب والمهارة العسكرية في مواجهة الأعداء الذين يحيطون بالدولة الجديدة إحاطة السوار بالمعصم، وراح الرسول القائد -ﷺ- طيلة العصر المدني يعمل دونما وهن على تعليم أتباعه فنون القتال وتدريبهم على استعمال السلاح رافعا شعارا واضحا لا غموض فيه، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[٢]، معتمدا في سعيه لتكوين (المقاتل المسلم) على أسلوبين متوازيين: التوجيه المعنوي والتدريب العملي[٣].

فحين هاجر النبي -ﷺ- من مكة الى المدينة بدأ بتنظيم الجيش الاسلامي وتسليحه وتجهيزه وقيادته (عملياً) جيشاً نظامياً له كيان واحد، وهدف واحد، وفكر واحد، وقيادة واحدة[٤].

ومما عجل بناء النبي -ﷺ- للجيش أن قريش – وكعادة القوى الغاشمة في كل زمان ومكان- بدأت حرباً لا هوادة فيها ضد الفكرة الجديدة التي تدعو الى التوحيد والعدالة والمساواة بين الناس، فبعد تلك الحرب بدأ النبي -ﷺ- يتطلع الى مكان يستطيع ان يتخذه قاعدة قوية وأمنية فاختار المدينة[٥].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ٤٤٢/١ ؛ وأخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق ابن العباس المكي الفاكهي (ت:٢٧٢هـ) تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، ط٢ (بيروت/١٤١٤هـ) ٢١٥/٤.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

(٣) ينظر: دراسة في السيرة، عماد الدين خليل، دار النفائس، ط٢ (بيروت/١٤٢٥هـ) ١٣٣.

(٤) ينظر: قيادة الرسول السياسية والعسكرية، ١٥٤.

(٥) ينظر: دراسة في السيرة، ١٣٣.

وإن أعمال الرسول -ﷺ- ومنها العسكرية- سنّة متبعة في كل زمان ومكان، فهل يبقى أتباعه ينتظرون الخوارق لينتصروا على أعدائهم، أم يعدّون ما استطاعوا من قوة، كما قرر القرآن الكريم، لينالوا هذا النصر؟ فسيرة الرسول -ﷺ- العسكرية، تثبت بشكل جازم لا يتطرّق إليه الشك، أن انتصاره كان لشجاعته الشخصية وسيطرته على أعصابه في أحلك المواقف، ولقراراته السريعة الجازمة في أخطر الظروف، ولعزمه الأكيد في التشبث بأسباب النصر، ولتطبيقه كل مبادئ الحرب المعروفة في كل معاركه، تلك العوامل الشخصية التي جعلته يتفوّق على أعدائه في الميدان، ولو لم تكن تلك الصفات الشخصية المدعومة بقوة الإيمان بالله، لما كتب له النصر(١).

وقد اهتم النبي -ﷺ- بأمر الجيش اهتماما كبيرا لأن اجتهاد مؤسسات الإدارة والأمن، والجيش لـــنصرة الأمة في مواجهة طغيان الأشخاص الحاكمين أو تسلط المترفين أو الأقليات الأسرية والقبلية والطائفية، يشيع في الأمة روح المسئولية العامة، والوحدة، وفضائل البذل والموالاة للصالح العام، ويوفر المناعة ضد أمراض الأنانية، والتحلل من المسئولية العامة، والفتن ومضاعفاتها في الشح والبخل والاغتراب، والجبن والنكوص أمام التحديات، كما وان نصرة أفكار الرسالة في مواجهة طغيان الأشخاص وزخرف الأشياء تشيع في الأمة الرقي الثقافي، والعطاء الإنساني وتزين الحياة فيها قيم المثابرة، والجد والتسامح مع الغير والانفتاح على الآخرين، وان الأمة التي توجهها روح النصرة أمام العدوان الخارجي يشيع فيها فضائل الشجاعة، والإقدام والتضحية والطموح، والثقة بالنفس في مجابهة التحديات، والقدرة على تحقيق الانتصارات(٢).

ويمكن تقسيم أدوار الجيش الذي بناه الرسول -ﷺ- في المدينة الى أربعة أدوار: دور الحشد، ودور الدفاع عن العقيدة، ودور الهجوم، ودور التكامل؛ وعلى التفصيل الآتي:

١- دور الحشد: فمن بعثته الى هجرته الى المدينة المنوّرة واستقراره هناك، وفي هذا الدور اقتصر الرسول -ﷺ- على الحرب الكلامية: يبشّر وينذر ويحاول جاهدا نشر

(١) ينظر: الرسول القائد، محمود شيت خطاب (ت:١٤١٩هـــ) دار الفكر، ط٦ (بيروت/ ١٤٢٢هـــ) ٨.

(٢) ينظر: أهداف التربية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني الأردني، دار القلم، ط١، ٣٣٨.

الإسلام، وبذلك كوّن النواة الأولى لقوات المسلمين، وحشدهم في المدينة المنورة (بالهجرة) إليها، وعاهد بعض يهود ليأمن جانبهم عند بدء الصراع.

٢- دور الدفاع عن العقيدة: فمنذ بدء الرسول -ﷺ- بإرسال سراياه وقواته للقتال، الى انسحاب الأحزاب عن المدينة المنورة بعد غزوة الخندق، وبهذا الدور ازداد عدد المسلمين، فاستطاعوا الدفاع عن عقيدتهم ضدّ أعدائهم الأقوياء.

٣- دور الهجوم: يبدأ بعد غزوة (الخندق) لينتهي بعد غزوة (حنين)، وبهذا الدور انتشر الإسلام في الجزيرة العربية كلها، وأصبح المسلمون قوة ذات اعتبار وأثر في بلاد العرب، فاستطاعوا سحق كل قوة تعرّضت للإسلام.

٤- دور التكامل: ويبدأ من بعد غزوة (حنين) الى أن التحق الرسول -ﷺ- بالرفيق الأعلى، فقد تكاملت قوات المسلمين بهذا الدور، فشملت شبه الجزيرة العربية كلها، وأخذت تحاول أن تجد لها متنفسا خارج شبه الجزيرة العربية، فكانت غزوة (تبوك) إيذانا بمولد الإمبراطورية الإسلامية(١).

فيتضح لنا مما سبق أن الأمة الاسلامية قدر الله -ﷻ- لها ان تكون قوية الشوكة مرهوبة الجانب، ففرض عليها الجهاد وامرها بإعداد القوة التي ترهب الاعداء ووجهها الى المبادئ الاسلامية لتنظيم شؤون الحرب للدفاع عن الدين ورد العدوان، وكان النبي -ﷺ- قائد ذلك الجيش ومعلمه الأول فهو المثل الكامل والقدوة المثلى، فلا عجب ان يظهر النبي -ﷺ- في الأمور العسكرية ما يثير الاعجاب والتقدير من عبقرية فذّة في القيادة والتخطيط وادارة العمليات الحربية، ولا عجب ايضاً ان يكون جيش الاسلام الذي تعلم في المدرسة العسكرية الاسلامية وطبق نظرياتها وتعاليمها في ميادين القتال تحت قيادة النبي -ﷺ- مضرب الأمثال في الكفاية القتالية والشجاعة والعبقرية الحربية (٢).

(١) ينظر: الرسول القائد، ٩.

(٢) ينظر: المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية (الدوحة/١٤٠٠هـ) الجانب العسكري من حياة الرسول -ﷺ-، اللواء الركن: محمد جمال الدين علي محفوظ، المكتبة العصرية، ط١ (بيروت/١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م) ٤/٥١٥-٥١٦.

المطلب الثاني

الولاية على الأقاليم

(بعد ان اتسعت رقعة البلاد الاسلامية وترامت أطرافها، صار من الصعب على النبي -ﷺ- باعتباره الرئيس الأول في الدولة الإسلامية أن يباشر بمفرده أعمال الحكم والإدارة، فلذلك كان من اللازم تقسيم البلاد إلى أقاليم متعددة، وتعيين أمير على كل إقليم ليكون بمثابة المعاون للإمام (النبي -ﷺ-) والنائب عنه في إدارة شئون هذا الإقليم، ويمكن أن تكون فكرة الإمارة شبيهة بتقسيم الدولة في العصور الحديثة إلى عدد من المحافظات، وتعيين محافظ لكل إقليم بحيث يكون هو المسئول الأول عن شئون المحافظة أمام السلطة العليا في عاصمة الدولة)[١].

(والإمارة نوع من الولاية ولذلك كان الأمير يسمى بالوالي أحيانا، وان بذور هذا النظام قد بدأت في عهد النبي -ﷺ- بعد أن أسس الدولة في المدينة فكان يرسل إلى كل قبيلة من يعلمها أمر دينها ويؤمها في الصلوات ويجمع منهم الزكاة)[٢].

ولقد كان النبي -ﷺ- اميناً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان جميلة، حريصاً كل الحرص على اختيار القوي الامين وان يكون شجاعا صاحب قرار، زاهد في اموال المسلمين وحقوقهم، عابد يطيع الله، لان الحكم والمال، هما عصب الحياة للأمة والجماعات، فاذا تخللهما الخيانة والضلال تعرضت مصاير الناس للخطر الأكيد[٣]، ولان اختيار القائد المناسب للقيادة المناسبة، أمانة في أعناق المسؤولين[٤]، وصدق الله العظيم القائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ

(١) السياسة الشرعية، ٧٢٩.

(٢) المصدر السابق، ٧٢٩.

(٣) ينظر: رجال حول الرسول، خالد محمد خالد ثابت (ت:١٤١٦هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ (بيروت/١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ٥٣.

(٤) ينظر: بين العقيدة والقيادة، محمود شيت خطاب، دار القلم، الدار الشامية، ط١ (دمشق/بيروت/ ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ٥١٧.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١]، والنبي -ﷺ- كان لا يعطي الولاية والامارة لمن يطلبها ويشتهيها، يقول ابو ذر الغفاري[٢]-رضي الله عنه-: ناجيت رسول الله -ﷺ- ليلة إلى الصبح، فقلت: (يا رسول الله، أمرني)، فقال له-ﷺ-: (يا أبا ذر، إنك ضعيف، إنها أمانة، وخزي، وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها)[٣]، أما شروط الولاية فأهمها كما قال ابن تيمية -رحمه الله-: (ركنان القوة والأمانة)[٤]، مستند الى قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[٥]، والقوة في كل ولاية بحسبها، فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب، وإلى الخبرة بالحروب، والمخادعة فيها، فإن الحرب خُدْعة والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل والقدرة على تنفيذ الأحكام، والأمانة ترجع إلى خشية الله وترك خشية الناس، واجتماع القوة والأمانة في الناس قليل، قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: (اللهم أشكو إليك جلد الفاجر

(١) سورة الانفال: الآية ٢٧.

(٢) هو الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري واسمه: جندب بن جنادة بن سفيان، كان أبو ذر ممن هاجر إلى النبي -ﷺ- من بنى غفار إلى مكة واختفى في استار الكعبة أياما كثيرة لا يخرج منها الا لحاجة الانسان من غير ان يطعم أو يشرب شيئا الا ماء زمزم حتى رأى رسول الله -ﷺ- بالليل فآمن به وهو أول من حياه بتحية الاسلام ثم هاجر إلى المدينة وشهد جوامع المشاهد ومات بالربذة في خلافة عثمان بن عفان سنة ٣٢هـ؛ ينظر: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، ٣٠-٣١.

(٣) رواه مسلم في مسنده، كتاب الامارة، باب كراهة الامارة بغير ضرورة، رقم الحديث: (١٨٢٥) ١٤٥٧/٣.

(٤) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام ابن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت:٧٢٨هـ) وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،ط١ (المملكة العربية السعودية/١٤١٨ه) ١٢.

(٥) سورة القصص: الآية ٢٦.

وعجز الثقة)[١]، فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها، فيقدم في إمارة الحروب، الرجل القوي الشجاع وإن كان فيه فجور على الرجل الضعيف العاجز، وإن كان أميناً، فقد سئل الإمام أحمد[٢] -رحمه الله- (عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو وأحدهما قوي فاجر، والآخر صالح ضعيف مع أيهما يغزى؟ فقال: أمّا الفاجر القوي فقوته للمسلمين، وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه، وضعفه على المسلمين، فيُغزى مع القوي الفاجر)[٣]، وإن كانت الحاجة في الولاية إلى الأمانة أشد، يقدم الأمين، مثل حفظ الأموال، ويقدم في ولاية القضاء الأعلم الأورع الأكفأ، فإن كان أحدهما أعلم، قدم فيما يظهر حكمه ويخاف فيه الهوى الأورع، وفيما يدق حكمه ويخاف فيه الاشتباه الأعلم[٤].

---

(١) الحسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت:٧٢٨هـ) حققه وعلق عليه: علي بن نايف الشحود، ط٢ (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) ١٨٧.

(٢) هو أحمد محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي: إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة، وكان أبوه والي سرخس، ولد ببغداد، فنشأ منكبا على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفارا كبيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والمغرب والجزائر وفارس وخراسان، صنف كتاب (المسند) في ستة مجلدات، يحتوي على ثلاثين ألف حديث، لما تولى المعتصم سجن ابن حنبل ثمانية وعشرين شهرا لامتناعه عن القول بخلق القرآن، وأطلق سنة ٢٢٠ه، ولم يصبه شر في زمن الواثق بالله -بعد المعتصم- ولما توفي الواثق وولي أخوه المتوكل ابن المعتصم أكرم الإمام ابن حنبل وقدمه، ومكث مدة لا يولي أحدا إلا بمشورته، وتوفي الإمام وهو على تقدمه عند المتوكل ؛ ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت:١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، ط١٥ (٢٠٠٢م) ٢٠٣/١.

(٣) حسن السلوك الحافظ دولة الملوك، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان بن عبد العزيز البعلي شمس الدين ابن الموصلي (ت:٧٧٤هـ) تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن (الرياض) ٩٦.

(٤) ينظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، مكتبة المؤيد (دمشق/الطائف/ ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ٣٦١/٥-٣٦٢.

المطلب الثالث

مؤسسة القضاء

للقضاء مكانة عظيمة ومنزلة شريفة، وهو يفصل بين النَّاس في خصوماتهم، فأهمية الأشياء تقاس بغاياتها، والغاية في القضاء هي إقامة العدل وكبح الظلم، فحيثما وجد العدل زال الظلم، والظلم ظلمات في الدنيا والآخرة، وهو قهر للنفوس، وهضم للحقوق، وهتك للأعراض، قبيح في الجليل والحقير، وقد وصف الله به أشنع الكبائر وهو الإشراك به، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١]، ولعظم شأن العدل في دحض الظلم، وأنهما ضدان لا يجتمعان وردا في آية واحدة بأمر ونهي، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢]، وقد أدركت البشرية في مختلف العصور أهمية العدل فجعلوه هدفا لمشاريعهم، وقد يختلفون في الوسائل والنتائج، ولكنهم متحدون فيما يهدفون إليه [٣].

ولما جاء الإسلام على يد محمد -ﷺ- رفع لواء العدالة، وقرر المساواة الكاملة بين الناس جميعا لا فرق بين حاكم ومحكوم، ولا بين أمير وحقير، ولا بين مسلم وغيره، فالكل أمام عدالة الإسلام [٤].

فلم يكن في الجاهلية نظام قضائي محدد، بل كانت الأعراف والعادات والتقاليد تشكل المصدر الرئيسي الذي يعتمد عليه العرب في حل ما يطرأ من مشكلات وما يقع من خصومات، وعندما جاء الإسلام أمر الله -ﷻ- نبيّه -ﷺ- أن يحكم بين الناس بما أنزل الله من أحكام في أمور الدين والدنيا، وجاء ذلك في الآيات الكريمة:

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٣.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٣) ينظر: فقه التمكين عند دولة المرابطين، علي محمد محمد الصلابي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط١ (القاهرة/١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ١٦٠.

(٤) ينظر: السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية،١٣-١٥ ؛ والسياسة الشرعية، ٨٠٨.

﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾[١]، وقوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾[٢]، وقوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾[٣]، ومن هذه الآيات استمد النبي -ﷺ- سلطته القضائية، وبدأت ترتسم معالم النظام القضائي الجديد للدولة الإسلامية[٤].

لقد ألزم النظام القضائي الجديد المتخاصمين بقبول حكم النبي -ﷺ-، فلم يعد الأمر قبولا من الطرفين بالتحكيم- كما كان الأمر في الجاهلية- ويتضح هذا من الآية الكريمة: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[٥]، فكان المسلمون ابتداء إذا عرض لهم حادث أو حصل بينهم خلاف رجعوا إلى رسول الله -ﷺ- لمعرفة حكم الإسلام فيجيبهم إما بنص القران وإما بقوله وأفعاله بناء على اجتهاده[٦].

فتولى رسول الله -ﷺ- القضاء بنفسه، وولاه أحياناً غيره من الصحابة في حضرته، ليعلمهم كيفية القضاء بين الناس وأصوله حتى يقوموا بهذا الدور في حال غيابه أو وفاته، أو من أجل تدريبهم واختبارهم قبل إرسالهم للقضاء في أمصار الدولة المختلفة، وقد ثبت توليته -ﷺ- بعض الصحابة منصب القضاء، بجانب

(١) سورة المائدة: الآية ٤٩.

(٢) سورة النساء: الآية ١٠٥.

(٣) سورة الاحزاب: الآية ٣٦.

(٤) ينظر: الإدارة في عصر الرسول -ﷺ-، ٢٢٣.

(٥) سورة النساء: الآية ٦٥.

(٦) ينظر: الإدارة في عصر الرسول -ﷺ- ، ٢٢٣-٢٢٤.

تفويضه إليهم الولاية العامة لأمور الناس في النواحي التي وجههم إليها، وقيامهم بتوضيح أمور الدين لهم، وتعليمهم إياها(١).

وقد روي عن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- قال: (جاء رسول الله -ﷺ- خصمان يختصمان، فقال لعمرو: (اقض بينهما يا عمرو)، فقال: (أنت أولى بذلك مني يا رسول الله)، قال: (وإن كان) قال: (فإذا قضيت بينهما فما لي؟) قال: (إن أنت قضيت بينهما فأصبت القضاء، فلك عشر حسنات، وإن أنت اجتهدت وأخطأت، فلك حسنة)(٢).

(فأخذ النبي-ﷺ- يبين للصحابة وللناس دستور القضاء والتقاضي، ويوضح ما يسلكه القاضي في قضائه، وما يجب عليه أن يلتزمه في نظر الدعوى، وفي الحكم الذي يصدره في شأنها ويقره الإسلام متخذا في ذلك منهجه العملي الذي نظمته هداية السماء داعيا البشر إلى الاقتداء به في كل مرحلة من مراحل الحياة، فقد كان قضاء الرسول -ﷺ- تشريعا واجب الاتباع سواء كان ذلك القضاء تطبيقا لنص تشريعي نزل به الوحي، أو كان اجتهادا منه، لأنه في جميع الحالات لا يقر على خطأ، فكان اجتهاده بمنزلة الوحي الثابت لا جدال في ذلك)(٣).

ونلتمس من بعض الروايات أن النبي -ﷺ- مارس الوظيفة القضائية بصفته حاكما لا بصفته نبيّاً، فقد صح عنه -ﷺ- انه قال (إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو مما أسمع منه، فمن

(١) ينظر: النظام القضائي في الفقه الإسلامي، ٣٨.

(٢) أخرجه الامام أحمد في مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت:٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، بقية حديث عمرو بن العاص عن النبي -ﷺ-، رقم الحديث: (١٧٨٢٤) ٢٩/٣٥٧-٣٥٨، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط:(إسناده ضعيف جداً، فيه الفرج - وهو ابن فضالة -كما جاء منسوباً عند غير المصنف- ضعيف).

(٣) السياسة الشرعية، ٨٠٨.

قطعت له من حق أخيه شيئا، فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار)[١]، فكان هذا القضاء مبنيّاً على الظاهر من الحجج والبراهين دون معرفة السرائر، فمن ابتغى غير حقه فقد أكل مال الناس بالباطل، ولو زين بحكم القضاء[٢].

أما عن الإجراءات القضائية المتبعة، فإن المعلومات المتوافرة الصحيحة عن قضاء النبي -ﷺ- توضح من شؤون القضاء وتنظيمه ما يجعل قواعده راسخة واضحة في بيان أصول المحاكمة، وما ينبغي للقاضي أن يسلكه في مجلس الحكم، وكيفية سير القاضي مع الخصوم، ويمكننا أن نستخلص من أقضية النبي-ﷺ- ما يجب على القاضي اتباعه عند القضاء:

١- التسوية بين المتخاصمين: فعن عبد الله بن الزبير[٣] -رضي الله عنه-، قال: قضى رسول الله -ﷺ-: (أن الخصمين يقعدان بين يدي الحاكم)[٤]، فهذا شرط منه اذ لابد من التسوية بين الخصمين في الجلوس، فلا يكون أحدهما أقرب إليه من الاخر ولا أرفع

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الاقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، رقم الحديث: (١٧١٣) ٣/ ١٣٣٧.

(٢) ينظر:تاريخ المذاهب الفقهية، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت:١٣٩٤هـ) مطبعة المدني (القاهرة) ١٢.

(٣) هو الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب كنيته أبو بكر ويقال أبو خبيب أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق حملت به بمكة وخرجت مهاجرة إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير فلما، ولدته أتت به رسول الله -ﷺ- ووضعته في حجره فدعا رسول الله -ﷺ- بتمرة فمضغها وحنكه بها فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله -ﷺ- ثم دعا له وهو أول مولود ولد في الإسلام من المهاجرين في المدينة قتله الحجاج بن يوسف سنة ثنتين وسبعين ثم صلبه على جذع منكسا ؛ ينظر: الثقات، ٢١٢/٣.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٣ (بيروت/١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) كتاب آداب القاضي، باب إنصاف الخصمين في المدخل عليه، والاستماع منهما، والإنصاف لكل واحد منهما حتى تنفد حجته، وحسن الإقبال عليهما، رقم الحديث: (٢٠٤٥٦) ٢٢٨/١٠.

مجلسا منه، وأحسن الأوضاع في جلوس الخصمين أن يكون بين يدي القاضي لحديث النبي -ﷺ-، ثم إنه يتحقق بذلك الخضوع التام لحكم الشارع، والشعور بالصغار أمامه كما يحقق المساواة بينهما أيضا[١].

٢- ضرورة العدل بين المتخاصمين في اللحظ واللفظ والإشارة: وفي ذلك قال النبي -ﷺ-: (من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم في لحظه وإشارته ومقعده)[٢].

٣- عدم رفع القاضي صوته على احد المتخاصمين دون غيره: وفي ذلك قال ﷺ: (من ابتلي بالقضاء بين الناس فلا يرفعن صوته على أحد الخصمين ما لا يرفع على الآخر)[٣]، وفي هذا أمر صريح بوجوب العدل بين الخصوم في كل ما يمكن العدل فيه.

٤- ابتداء نظر الخصومات بالترتيب: فيجب عليه ان يقدم خصومة من جاء أولا على من جاء ثانياً، ولا يقدم واحدا على من جاء قبله لفضل منزلة أو سلطان[٤]،

---

(١) ينظر: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون برهان الدين اليعمري (ت:٧٩٩ه) مكتبة الكليات الأزهرية، ط١ (١٤٠٦ه/١٩٨٦م) ٤٦/١.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب إنصاف الخصمين في المدخل عليه والاستماع منهما، والإنصاف لكل واحد منهما حتى تنفد حجته، وحسن الإقبال عليهما، رقم الحديث: (٢٠٤٥٧) ٢٢٨/١٠.

(٣) أخرجه الدارقطني في سننه، سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت:٣٨٥هـ) حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط وحسن عبد المنعم شلبي و عبد اللطيف حرز الله و أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، ط١ (بيروت/١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) كتاب في الاقضية والحكام وغير ذلك، رقم الحديث: (٤٤٦٧) ٣٦٦/٥.

(٤) ينظر: نظرية الدعوى بين الشريعة الإسلامية وقانون المرجعات المدنية والتجارية، محمد نعيم ياسين، وزارة الأوقاف، (الاردن) ٤٥/٢.

ويتجلى هذا في قول النبي -ﷺ-: (من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهو له)[١].

٥- السماع للمتخاصمين بالتفصيل: ثم عليه أن يسمع ما لدى الخصمين أو الخصوم قبل الفصل في القضية، وترد إشارة إلى ذلك في قول النبي -ﷺ- لعلي بن أبى طالب -رضي الله عنه- حين بعثه قاضيا إلى اليمن: (... فإذا جلس بين يديك الخصمان، فلا تقضين حتى تسمع من الآخر، كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء)[٢].

٦- عدم القضاء في حالة الغضب او الجوع المفرط او العطش الشديد: وبما ان القاضي يشكّل طرفاً مهمّاً في عملية التقاضي فلابد أن تكون هذه العملية في وقت صفاء نفسه وذهنه، ويتجلى هذا في حديث النبي -ﷺ- حيث قال: (لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان)[٣]، وذلك لأن القاضي لا يستطيع تحري الحق حال الغضب، ومثل الغضب الجوع المفرط، والعطش الشديد، وغلبة النعاس[٤].

٧- عدم اخذ الرشوة: وذلك لأن الرشوة تؤدي إلى الجور وتصرف القاضي عن العدل وتجلى هذا في قوله-ﷺ-: (لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم)[٥].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني (ت:٣٦٠هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط٢ (القاهرة)، أسمر بن مضرس، رقم الحديث: (٨١٤) ٢٨٠/١.

(٢) اخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب فضل من ابتلى بشيء من الأعمال فقام فيه بالقسط وقضى بالحق، رقم الحديث: (٢٠٦٤٨) ٨٦/١٠، قال الشيخ الألباني: (حديث حسن).

(٣) أخرجه سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني وماجه اسم أبيه يزيد (ت:٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، كتاب الاحكام، باب لا يحكم الحاكم وهو غضبان، رقم الحديث: (٢٣١٦) ٧٧٦/٢.

(٤) ينظر: نظرية الدعوى بين الشريعة الإسلامية وقانون المرجعات المدنية والتجارية، ٣٥/٢.

(٥) أخرجه الامام احمد في مسنده، مسند ابي هريرة -رضي الله عنه-، رقم الحديث (٩٠٣١) ١٢/١٥ ؛ والترمذي في الجامع الكبير (سنن الترمذي) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى (ت:٢٧٩هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت/١٩٩٨م)، أبواب الأحكام عن رسول الله -ﷺ-، باب ما جاء في=

٨- اشتراط وجود وسائل اثبات للحكم: لقد اقتضى النظام القضائي في الإسلام أن يكون هناك وسائل إثبات لكل دعوى، فهي تحتاج ابتداء إلى بينة، ولذا قال النبي -ﷺ-: (لو يعطى الناس بدعواهم، لادعى ناس دماء رجال وأموالهم، ولكن اليمين على المدعى عليه)(١)، ومن وسائل الاثبات المهمة:

أ- الشهود لأداء الشهادة: قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾(٢)، وهذا في جميع حالات القضاء باستثناء حالة الزنا الذي يحتاج إلى أربعة شهود لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ ﴾(٣)، ولقد بين النبي -ﷺ- حال الشهود المعتبرين فقال: (لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حد، ولا ذي غمر لأخيه، ولا مجرب عليه شهادة زور، ولا ظنين في ولاء، ولا قرابة)(٤).

ب- الكتابة: ومن وسائل الإثبات كذلك (الكتابة)، ولا سيما في الوصية، ويتضح هذا في قوله -ﷺ-: (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده)(٥).

=الراشي والمرتشي في الحكم، رقم الحديث: (١٣٣٦) ٣/١٥، قال الترمذي: (حسن صحيح) وقال الألباني: (صحيح).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الاقضية، باب اليمين على المدعى عليه، رقم الحديث: (١٧١١) ٣/١٣٣٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٣) سورة النساء: الآية ١٥.

(٤) أخرجه البيهقي في سننه، كتاب الشهادات، باب من قال لا تقبل شهادته، رقم الحديث: (٢٠٥٧٠) ١٠/٢٦١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب الوصايا وقول النبي -ﷺ- وصية الرجل مكتوبة عنده وقول الله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ رقم الحديث: (٢٧٣٨) ٤/٢.

ت- الإقرار: أما (الإقرار) فهو من أقوى وسائل الإثبات، يتضح هذا من خلال قصة ماعز والغامدية اللذين زنيا، فأمر النبي -ﷺ- برجمهما بناء على إقرارهما بارتكاب جريمة الزنا(١).

ث- القرائن والأمارات: وهي من وسائل الإثبات، وتنقسم الى قسمين:

القسم الأول: الفراسة: وقد استخدم النبي -ﷺ- الفراسة في إثبات الدعوى، ويتضح هذا في فتح خيبر، فعندما فتح النبي -ﷺ- خيبر عنوة وفتح جانبها الاخر صلحا اشترط عليهم ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئا، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد (٢).

القسم الثاني: (القرعة: وتعد القرعة وسيلة من وسائل الإثبات، وقد استخدم النبي -ﷺ- القرعة في عدة مواضع منها: أنه أقرع بين الأعبد الستة الذين أعتقهم سيدهم ولم يكن له مال غيرهم، وأقرع بين رجلين لمّا تنازعا في دابة، وأقرع بين نسائه لما أراد السفر)(٣).

فيتضح لنا من خلال كل ما ذكرناه ان القضاء في زمن الرسول -ﷺ- كان ينعم بالاستقلال المطلق، فهو لا يقع تحت أي تأثير من شخص أو سلطة أو عرف، وتجلى ذلك في قصة المرأة المخزومية فقد روى البخاري -رحمه الله- في صحيحه عن ام المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: (أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم رسول الله -ﷺ- ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله -ﷺ- فكلم رسول الله -ﷺ- فقال: (أتشفع في حد من حدود الله) ثم قام فخطب قال: (يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف

(١) المصدر السابق، كتاب الحدود، باب هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو غمزت، رقم الحديث: (٦٨٢٤) ١٦٧/٨.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب من رأى قسمة الاراضي المغنومة ومن لم يرها، رقم الحديث: (١٨٣٨٧) ٢٣١/٩ .

(٣) الإدارة في عصر الرسول -ﷺ- ٢٣٠.

تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد -ﷺ- سرقت لقطع محمد يدها)[١].

فبمثل هذا استطاع النبي -ﷺ- أن يبني في المدينة دولة جديدة ومجتمعا جديدا، حتى صار أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ يعيش في اعظم دولة، بقيادة اعظم قائد، وأن يضع لمشاكل هذا المجتمع حلا تتنفس له الإنسانية الصعداء، بعد أن كانت تعبت في غياهب الزمان ودياجير الظلمات، وبمثل هذه المعنويات الشامخة تكاملت عناصر المجتمع الجديد الذي واجه كل تيارات الزمان حتى صرف وجهتها، وحول مجرى التاريخ والأيام[٢].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، رقم الحديث: (٦٧٨٨) ٨/١٦٠.

(٢) ينظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (ت:١٤٢٧هـ) دار الهلال، ط١ (بيروت/١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) ١٧٢.

الخاتمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، فبعد ان وفقني الله تعالى لإكمال هذه البحث المختصرة **(بناء الدولة ومؤسساتها في العهد النبوي)** يمكن ان اجمل اهم النتائج التي توصلت اليها بما يأتي:

١- إن كل السياسيّين إذا ما أرادوا لسياستهم ولدولتهم النجاح والتوفيق فعليهم الأخذ بكل ما من شأنه أن يؤدي إلى ذلك من وسائل وأساليب نظيفة والنظر الى اهداف سامية وشريفة ويأتي في مقدمة ذلك المنهج السياسي للنبي-ﷺ-.

٢- الناس بطبيعتهم التي فطرهم الله عليها يحبون منهج نبينا محمد -ﷺ- وهذا مدعاة لقبول المنهج السياسي الذي يمشي عليه السياسي وتحصيل مبتغاه في سياسة الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

٣- إن أصحاب الهمم العالية والمشاريع الكبيرة لا يلتفتون إلى ظلم الناس لهم وطعنهم اياهم، ولا ينتظرون جزاءاً من البشر، إنما يحتسبون الأجر عند الله تعالى، فهو مولاهم ونعم المولى ونعم النصير.

٤- إن الوثيقة على مبدأ الانضمام إلى المعاهدة هي مبدأ دستوري مهم، ومازال العمل يجري به إلى يومنا هذا، ولعلها أول وثيقة في التاريخ تقر على مواد في التكافل الاجتماعي بين أفراد الدولة.

٥- إن المؤاخاة على الحب في الله من أقوى الدعائم في بناء الأمة المسلمة.

٦- يتمتع المسجد بمنزلة كبرى في تاريخ الإسلام، وفي الحياة الإسلامية بوجه عام، فمهمة المسجد تحقيق رسالة الإسلام الكبرى، ومركز إعلام للدفاع عن الإسلام، وداراً للضيافة وغيرها.

٧- لقد كان لرسول الله -ﷺ- دوراً في السلطات الثلاث، التشريعية- القضائية- التنفيذية، ومن اهم مؤسسات الدولة الاسلامية التي عمل الرسول -ﷺ- في العهد المدني على انشائها وتفعيل دورها هي مؤسسة الجيش، والولّاة، والقضاء.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

- الأثر الأمني لتعليم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع، إعداد: النقيب عبد العزيز بن فهد الريس، معلم القرآن الكريم بمعهد الجوازات، إشراف: اللجنة العلمية للملتقى الثالث للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية.
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (ت:٢٧٢هـ) تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، ط٢ (بيروت/١٤١٤هـ).
- الإدارة في عصر الرسول-ﷺ-، أحمد عجاج كرمي، دار السلام، ط١ (القاهرة/١٤٢٧هـ).
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت:٤٦٣هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١ (بيروت/١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين ابن الأثير (ت:٦٣٠هـ)، دار الفكر، (بيروت/١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، محمد شوقي الفنجري (ت:١٤٣١هـ) (وزارة الأوقاف).
- الإسلام والدستور، توفيق بن عبد العزيز السديري، وكالة المطبوعات والبحث العلمي وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١ (١٤٢٥هـ).
- الإسلام وأوضاعنا السياسية، عبد القادر عودة (ت: ١٣٧٣هـ) مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت/١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، ط٢٥ (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت:١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، ط١٥ (٢٠٠٢م).
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (ت:٤٧٥هـ) دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت/١٤١١/١٩٩١م).
- أهداف التربية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني الأردني، دار القلم، ط١.
- أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين، محمد بن محمد العواجي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤هـ) تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- بين العقيدة والقيادة، محمود شيت خطاب، دار القلم، الدار الشامية، ط١ (دمشق/ بيروت/ ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- تاريخ المذاهب الفقهية، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت:١٣٩٤هـ) مطبعة المدني (القاهرة).
- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون برهان الدين اليعمري (ت:٧٩٩ه) مكتبة الكليات الأزهرية، ط١ (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- التحالف السياسي في الإسلام، منير محمد الغضبان، مكتبة المنار، ط١ (الأردن/١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).
- التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد، بلا دار طباعة، بدون سنة طبعة.
- تنظيمات الرسول الادارية في المدينة، صالح أحمد العلي، بلا دار طباعة، بدون سنة طبعة.
- الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، علي محمد محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، مكتبة التابعين، ط١ (الشارقة/القاهرة/١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
- الجامع الكبير (سنن الترمذي) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى (ت:٢٧٩هـ) تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت/١٩٩٨م).
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -ﷺ- وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله (ت:٢٥٦هـ) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١ (١٤٢٢هـ).
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت:٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١ (بيروت/١٩٨٧م).
- الحسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت:٧٢٨هـ) حققه وعلق عليه: علي بن نايف الشحود، ط٢ (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- حسن السلوك الحافظ دولة الملوك، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان بن عبد العزيز البعلي شمس الدين ابن الموصلي (ت:٧٧٤هـ) تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن (الرياض).
- خاتم النبيين -ﷺ- محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت:١٣٩٤هـ) دار الفكر العربي (القاهرة/١٤٢٥هـ) .
- دراسة في السيرة، عماد الدين خليل، دار النفائس، ط٢ (بيروت/١٤٢٥هـ).
- دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية-رضي الله عنه-، عبد السلام بن محسن آل عيسى، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١ (المملكة العربية السعودية/ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

- دولة الرسول في المدينة، ممدوح العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٨م).
- الدولة القانونية والنظام السياسي الإسلامي، منير حميد البياتي، جامعة بغداد، ط١ (بغداد/١٣٩٩هـ).
- رجال حول الرسول، خالد محمد خالد ثابت (ت:١٤١٦هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ (بيروت/١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (ت:١٤٢٧هـ) دار الهلال، ط١ (بيروت/١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- الرد الوافر، محمد بن عبد الله أبي بكر بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي شمس الدين الشهير بابن ناصر الدين (ت:٨٤٢هـ) تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط١ (بيروت/١٣٩٣هـ).
- الرسول القائد، محمود شيت خطاب (ت:١٤١٩هـ) دار الفكر، ط٦ (بيروت/١٤٢٢هـ).
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت:٥٨١هـ) تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، ط١ (بيروت/١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، ط٢٧ (بيروت/الكويت/١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني وماجه اسم أبيه يزيد (ت:٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٣ (بيروت/١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م).
- السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني

الحنبلي الدمشقي (ت:٧٢٨هـ) وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١ (المملكة العربية السعودية/١٤١٨هـ).

- السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى بن حسني السباعي (ت:١٣٨٤هـ) المكتب الإسلامي، ط٣ (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد محمد الصلابي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٧ (بيروت/١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
- السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).
- شرف المصطفى، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي أبو سعد (ت:٤٠٧هـ) دار البشائر الإسلامية، ط١ (مكة/١٤٢٤هـ).
- الشورى في الشريعة الإسلامية، القاضي حسين بن محمد المهدي، تقديم: عبدالعزيز المقالح، مكتبة المحامي، بدون سنة طبعة .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤ (بيروت/١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- صلاة المؤمن مفهوم، وفضائل، وآداب، وأنواع، وأحكام، وكيفية، في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مركز الدعوة والإرشاد، ط٤ (القصب/١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
- صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، محمد فوزي فيض الله، دار القلم، الدار الشامية، ط١ (دمشق/بيروت/١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) تحقيق: نايف أحمد الحمد، دار عالم الفوائد، ط١ (مكة المكرمة/١٤٢٨هـ).
- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت:٢٢٤هـ) تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط١ (حيدر آباد/الدكن/١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

- غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية، بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١ (المملكة العربية السعودية/١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).
- الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت:٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، ط٢ (لبنان).
- فدائيون من عصر الرسول، أحمد عبد اللطيف الجدع، دار الضياء، ط٥ (الاردن/١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- فقه التمكين عند دولة المرابطين، علي محمد محمد الصلابي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط١ (القاهرة/١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
- فقه السيرة، محمد الغزالي السقا (ت:١٤١٦هـ) تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم، ط١ (دمشق/١٤٢٧هـ).
- في النظام السياسي للدولة الإسلامية، محمد سليم العوا، المكتب المصري، ط٥ (القاهرة/١٩٨١م).
- قيادة الرسول السياسية والعسكرية، احمد راتب عرموش، دار النفائس، ط١ (بيروت/١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).
- قيام الدولة العربية الاسلامية في حياة محمد -ﷺ- محمد جمال الدين سرور، دار الفكر العربي، ط٥ (١٩٦٦م).
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت:٧١١هـ) دار صادر، ط٣(بيروت/ ١٤١٤هـ).
- مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت:٣٩٥هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط٢ (بيروت/١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- المساجد مفهوم، وفضائل، وأحكام، وحقوق، وآداب في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير (الرياض).

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني (ت:٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -ﷺ-، مسلم ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت).
- المشروع والممنوع في المسجد، فالح بن محمد بن فالح الصغير، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية/١٤١٩هـ).
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني (ت:٣٦٠هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط٢ (القاهرة).
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة.
- معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني (ت:٤٣٠هـ) تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، ط١ (الرياض/١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء المدني أبو عبد الله الواقدي (ت:٢٠٧هـ) تحقيق: مارسدن جونس، دار الاعلمي، ط٣ (بيروت/ ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، مصطفى بن حسني السباعي (ت:١٣٨٤هـ) دار الوراق للنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي، ط١ (بيروت/ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: عبدالقادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، مكتبة المؤيد (دمشق/الطائف/١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

- منهج التربية الإسلامية، محمد بن قطب بن إبراهيم، دار الشروق، ط١٦.
- المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية (الدوحة/١٤٠٠هـ) الجانب العسكري من حياة الرسول -ﷺ-، اللواء الركن: محمد جمال الدين علي محفوظ، المكتبة العصرية، ط١ (بيروت/١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، بدون سنة طبعة.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم-ﷺ-، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط٤ (جدة).
- النظام القضائي في الفقه الإسلامي، محمد رأفت عثمان، دار البيان، ط٢ (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- نظرية الدعوى بين الشريعة الإسلامية وقانون المرجعات المدنية والتجارية، محمد نعيم ياسين، وزارة الأوقاف، (الاردن).
- نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، سالم بن عبد الله الخلف، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١ (المملكة العربية السعودية/١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).